نحن وانتم

⁂

انتم بنيتم الاهرام من جماجم العبيد
والاهرام جالسة الآن على الرمال
تحدّث الاجيال عن خلودنا وفنائكم .

ونحن هدمنا الباستيل بسواعد الاحرار
والباستيل لفظة ترددها الامم
فتباركنا وتلعنكم

انتم رفعتم حدائق بابل فوق هياكل الضعفاء
واقمتم قصور نينوى فوق مدافن البؤساء
وها قد اصبحت بابل ونينوى
نظير آثار اخفاف الابل على رمال الصحراء

اما نحن فقد نحتنا تمثال عشتروت من الرخام
فجعلنا الرخام يرتعش جامداً ويتكلم صامتا
وضربنا النهاوند على الاوتار
فاستحضرت الاوتار ارواح المحبين الحائمة في الفضاء
ورسمنا مريم بالخطوط والالوان
فبدت الخطوط كافكار الآلهة
والالوان كعواطف الملائكة

جبران خليل جبران

جني الثمار

لشاعر الهند رابندرات طاغور
نقلها الى العربية

اكرم الوزي

عن ترجمة انجليزية بقلم طاغور

❖

مرني ، وسأجني ثماري لآتي بها الى ساحتك في سلال مثقلة* وان ضاع بعضها ولم ينضج البعض .

فالموسم ينمو مثقلا بخصبه ، وهناك في الظل ، ينوح مزمار الراعي .

مرني .. وسأفرد شراعي في النهر .

ان رياح آذار غاضبة ، تبعث الامواج الواهنة على الشكوى .

وقد أسلم البستان كل ثماره ، وفي ساعة المساء المجهدة ينطلق النداء من بيتك على الشاطيء عند الغروب .

* * *

كانت حياتي في صباي كالزهرة - زهرة تسخو بورقة او اثنتين من اوراقها الوفيرة ، عندما يأتي نسيم الربيع مستجدياً على بابها ، ولا تحس بالخسارة ابداً

واليوم ، عند انتهاء الصبا ، أصبحت حياتي كالثمرة ، لم يعد لديها ما تستغني عنه . انها تنتظر لتقدم كل نفسها ، بكل حملها المثقل بالحلاوة .

* * *

ايحتفل في الصيف بالازهار الغضة فحسب ، ولا يحتفل بالاوراق الذاوية والازهار الذابلة ؟

ايغني البحر مع الامواج المتعالية فحسب ؟

الا يغني ايضاً مع الامواج المنحدرة ؟

لقد نسجت جواهر في البساط الذي يقف عليه ملكي ، لكن هناك قطعاً صابرة من الطين تنتظر ان تلمسها قدماه .

قليل هم الحكماء والعظماء الذين يجلسون الى سيدي ، ولكنه قد اخذ الاحمق بين ذراعيه وجعلني خادمه الى الابد

---

* القطع العشر الاولى من كتابه جني الثمار Fruit Gathering

استيقظت ، فوجدت رسالته مع الصباح

انا لا أعلم ما فيها ، اذ انني لا اعرف القراءة .

سادع الحكيم وحيداً مع اسفاره ، لن ازعجه .. فما يدريني انه يستطيع ان يقرأ ما تقول الرسالة ؟

دعني الصقها بجبيني ، واضمها الى قلبي

وعندما يهدأ الليل ، وتطلع النجوم واحدة واحدة ، سافردها في حضني وأظل صامتاً .

ستقرأها لي أوراق الشجر بحفيفها ، سيرتلها الجدول الصاخب ، وستغنيها لي من السماء النجوم الحكيمة السبع .

لست استطيع ان اجد ما اريد ،

لست استطيع فهم ما ينبغي ان اتعلم ...

لكن هذه الرسالة التي لم تقرأ قد خففت اعبائي ، وجعلت من خواطري اناشيد .

* * *

لقد كان لحفنة من تراب ان تحجب عني اشارتك ، عندما كنت لا ادرك معناها .

واليوم ، وقد ازددت حكمة ، اصبحت اقرأها في كل ما اخفاها عني من قبل .

انها مرسومة على اوراق الازهار ، تبرقها الامواج في زبدها ، وترفعها التلال عالياً على ذراها .

لقد كان وجهي مشاحاً عنك ، لذا قرأت الحروف معوجة ، ولم ادرك ما تعني .

* * *

انني اضل طريقي حيث الدروب المرسومة .

ليس في صفحة المياه الواسعة ، ولا في السماء الزرقاء اثر لطريق .

الممر مستور باجنحة الطيور ، وبشعل النجوم ، وبازهار الفصول العابرة .

وانني لاسائل قلبي ، علّه يحمل في دمه حكمة الطريق المجهول .

* * *

واأسفاه ! لا يمكنني البقاء في الدار لم يعد وطني وطناً لي بعد ، انه يمر على الطريق .

وقع خطاه يقرع على صدري : انه يؤلمني !

الرياح ثائرة .. والبحر يصول ..

وانا اترك همومي وشكوكي ، لاتبع التيار الذي لا وطن له ، لان الغريب يدعوني .. انه يمر على الطريق .

* * *

تهيأ للابحار يا قلبي ، وليتخلف من يشاء !

لان اسمك قد نودي في سماء الصبح .

لا تنتظر احداً !

انما يتمنى البرعم الليل والندى ، اما الزهرة المتفتحة فتصرخ في طلب حرية النور .

مزق حجابك يا قلبي ، واقبل !

* * *

عندما توانيت عند كنزي المخبوء ، احسست كأنني دودة تأكل في الظلام

جيرترود

صورة وصفية

بقلم وديع فلسطين

من ذا يزعم ان عقل المرأة لا يتسع الا للامور العارضة واللغو الرخيص ؟ ومن ذا يقول ان المرأة قليلة الحيلة لا تقوى على الجهاد العلمي ولا تصبر على جلد الكفاح في أفق الرياضيات والكيميائيات والفلك والهندسة ؟ من ذا يظن ان ذهن المرأة محدود وأفقها ذو قيود ، وان طبيعتها تلزمها بأن تدور حول محور نفسها وتعنى بشؤون الزينة والبهرجة اكثر مما تعنى باي عمل جدي تنهض به ؟

الى هؤلاء جميعاً أقدم « جيرترود » . فهي ثمرة من ثمار الكفاح العلمي ، لانها هيأت نفسها للحياة العلمية وعاشت في بيئة علمية وعملت في وسط علمي ، وصار تفكيرها اليوم تفكيراً علمياً فتعرف الاحماض وتركيباتها والمعادن ومشتقاتها والجيولوجيا وطبقاتها والرواسب وانواعها والعروق المعدنية وأماكن وجودها والثروة الجوفية ووسائل استخراجها . بل صارت تحمل درجة الدكتوراه في العلم ، وهي تتأهب لنيل أخرى .

ولقد أشفقت على « جيرترود » يوم زرتها في مختبرها في ضاحية من ضواحي القاهرة . اشفقت عليها لانها تعيش بين أتربة من المعادن المختلطة ، وتستنشق روائح الاحماض ونتائج تفاعلها ، وتحيط بها آلاف من الزجاجات كل منها تحمل بطاقة يعوز المرء دليل ليعرف ما تحتويه ، ولكنها تعرف كل شيء عن هذه الاواني ، وحسبك ان تورد امامها اسماً من اسماء العناصر المعروفة او المجهولة ذات الوزن النوعي الثقيل او الخفيف ، فتجد بين يديك زجاجة قدمتها لك « جيرترود » فيها غايتك.

وكان لا بد من ان يحيي الزائر ، فاعدت « جيرترود » كوباً من الشاي قدمته في انبوب اختبار ، واذابت السكر بمرود ، فرجال العلم ونساؤه لا يحفلون كثيراً بالمظاهر والبهارج قدر احتفالهم بالجوهر والاصل .

وقد وجدت نفسي صغيراً امام « جيرترود » ، لان قيم الاشياء تتفاوت بيننا ، ولان نظرتها الى الحياة تختلف عن نظرة الذين يعملون بالادب او بالصحافة او بغيرهما من الشؤون النظرية المجردة . فقد أضرب قدمي في الارض عند سيري ، فلا ادرك ماذا اصبت ولا ادري ما ركلته متعجلا متسرعاً . اما جيرترود ، فهي تنظر الى الرمال نظرة عارضة ، تتأمل درر حصبائها ثم تقول : هنا ركاز للحديد ، او ، هنا منجم للفوسفات ، او : هنا ثروة من حجر « التلك » ، وهلم جراً . فالاديب يعيش حياة فيها كثير من الجهد المبدد الضائع ، اما العالم فهو يعرف موارد الثروة واين تغوص ، ويدرك ان للرمل

من التمرة التي ولدت فيها .

انني اترك سجن البلى هذا .

لن آبه بالبقاء مع الصمت المتعفن ،

اذ اني ماض في البحث عن الشباب الدائم .

انني اطرح كل ما لم يتحد مع حياتي ،

وكل ما لم يكن مرحاً كضحكي .

انني اجري عبر الزمن . وآه يا قلبي ! في عربتك يرقص الشاعر الذي يغني في تجواله .

* * *

لقد اخذت بيدي وقربتني اليك ، وجعلتني على مجلس عال امام الناس اجمعين ، حتى اصبحت هياباً ، لا استطيع الحراك ، ولا المضي في طريقي ... في كل خطرة اشك واجادل ، لئلا اطأ شوكة من امتهان .

وها انذا طليق اخيراً !

لقد حلت الضربة ، ودقت طبول الاهانة ، فاصبح مجلسي واطئاً في الرغام.

وفتحت امامي سبلي !

جناحاي مثقلان باشتهاء السماء ، انني امضي لالحق نجوم منتصف الليل الهاوية .. لاغطس في الظل العميق .

انني كسحابة الصيف المندفعة ، تبقى – وقد القت بتاجها الذهبي – مدلية الصاعقة كالسيف على سلسلة من البريق .

في جذل يائس اجري على طريق المحتقرين الترب ، واقترب من ترحابك الاخير .

عندما يترك الطفل رحمه ، يجدها.

وعندما انفصلت منك ، وطردت من بيتك ، اصبحت حراً لارى وجهك .

بغداد **اكرم الوتري**

الاصفرضرورة في صنع الزجاج، وان للجبل الاشم ذي الحجارة الهشة شأناً في التطبيب والتطرية لان مساحيق الوجه البيضاء تستخرج منه . والعالم يعرف ان الماء في جوف الثرى يستنبط بآلات رافعات بينما الاديب يسوقه السراب الى حيث لا ماء ولا مطعم . والعالم يعرف احتمالات الطبيعة ويدرك كيف تغدر فيحذرها ، بينما الاديب يفترض الحسنى ويدعي السلامة فلا يأمن غدر الطبيعة وما فيها من ضوار مفترسة .

دخلت مختبر « جيرترود » متأنقاً ، فالهندام حسن التنسيق، ورباط العنق جميل الانتقاء وشعر الرأس مصفف رتيب ، والنعلان يلمعان بأضواء ، فوجدتها في معطف كاد بياضه يبرحه، ووجدت شعرها مرسلا في غير اتساق، ورأيت اليدين غارقتين في شكول من المواد والسوائل، فأحسست وضاعة في تفكيري، لانني اريد التحليق في اجواء لا يمكن بلوغها بينما القدمان غير مستقرتين على الارض .اما هي فانها تعرف اين تضع قدميها ومتى استقر بها المقام تمكنت من التحليق في اجواء مدركة معروفة.

الاديب يطربه بيت من الشعر جيد الصياغة ، اما العالم فانه ينظر الى الحياة نظرة واقعية لا أثر للخيال فيها ، واذا كان الخيال حتماً، فهو خيال منطقي له مقدمات وله نتائج وله منهاج واسلوب.

يتأمل الشاعر أرضاً يطويها في سيره طياً ، فيقول:

« خفف الوطء لا اظن اديم الارض الا من هذه الاجساد »

أما العالم فانه يقول : خفف الوطء فانني ارى الارض ندية بالزيت مشبعة بمدخرات وفيرة منه لا ينضب معينها .

لقد عرفت الجزيرة العربية في تاريخها الطويل شعراء وأدباء اجادوا وصف البيداء والخيل والابل والتمر وشغلوا بالغزل والهجاء والمديح عن حقائق الطبيعة حولهم ، فلما جاء حفنة من رجال العلم في القرن العشرين يضربون في قفارها ، قالوا : هنا تكمن ثروة غير ذات حد ، فالارض ندية بالزيت ، والجوف ممتلىء لا يعرف له قرار والطبيعة تسخو مع من يعرف كيف يفتق اسرارها ويميط اللثام عن مكنون سرها ، ولو استحالت الجزيرة العربية اليوم الى دولة من الشعراء والادباء ، لظلت على هامش السياسة وعلى هامش الاقتصاد وعلى هامش الموقف الدولي. اما وقد غزاها العلم برسله ، واما وقد عرفت بالعلماء حقيقة امرها ، فقد اصبحت اليوم دولة مرجوة الغد ، مخطوبة الود ، تتصدر في الحياة منزلة رفيعة ، وتنظر اليها الدول قبل ان تقرر أتخوض حرباً او تجنح الى سلم .

ان الذين فتحوا الجزيرة العربية فتحاً علمياً هم اقران «لجيرترود»، إنهم مردة جبابرة أذلوا الطبيعة وخضدوا شوكتها وحنوا رأسها لسلطانهم. وان السبيل الذي سلكه اولئك الغزاة بغير سلاح ، تسلكه اليوم « جيرترود » في صحارى مصر ، فتقضي معظم وقتها مرتحلة الى قرار الصعيد تتفقد مناجم الحديد وتسافر الى صحراء سيناء لتتابع اعمال انتاج الفوسفات ، وتعود الى مختبرها تجري التجارب وتتأمل نتائجها ، وعندها مصنعها تهدر عجلاته لا تكف عن الدوران ، تعرف كيف تجدده كل عام وكيف تدخل عليه من آلات التحسين والسرعة والاتقان ما يفتن العقل .

وسألت في سذاجة : هل تستخدمون مهندسين من المانيا او تؤثرون ابناء سويسرا ؟ فكان الجواب : وما حاجتنا الى مهندسين ونحن بأنفسنا وبسواعدنا نقوم بهذا العمل . « فجيرترود » من بيت علم وهندسة . أبوها عالم مهندس واشقاؤها علماء مهندسون ، وهي كذلك ضالعة معهم في هذا المنحى ، كأنهم مجندون لمقاتلة الطبيعة ، والطبيعة تحني الهامة دائماً امام العلم ، استغفر الله ، بل امام العقل الانساني الجبار .

ألست ترى اذن ان الاديب يصغر اذا ظل يتلفت حوله فيجد نفسه وكأنه مبتور من هذه الارض لا صلة له بها . ولكنه يكبر ، او يخال انه يكبر ، اذا انطلق يغرد بأدبه وشعره في اجواء الخيال المنسرحة الفضفاضة . اما العالم ، فهو على النقيض منه ، يكبر على الارض ويصغر في مجال الخيال . ولهذا رأيت نفسي صغيراً امام جيرترود ، التي تعرف من اسرار الكون ما أجهل ، وتعرف من الكيمياء والطبيعة والجيولوجيا والهندسة والاقرباذين والمعادن ما يتحطم رأسي قبل ان يهضم شيئاً منه ، فما أهون على الاديب ان يجلس ليروي قصة على الورق يحرق في كتابتها لفافة او اثنتين من لفائف التبغ . اما العالم - بله السيدة العالمة - فانه يحرق بصر العينين ويؤكسد خلايا العقل ويخوض بيديه شواظ النار والاحماض المهلكة رجاء ان يفرز الحديد الخام عن اوشابه ، او لكي يميز عنصراً تائهاً في كتلة صخرية كبيرة.

وخرجت من مختبر جيرترود اسأل : اين الألى يتهمون المرأة بالجعجعة بغير طحن ، او الذين يرمونها بالقصور العقلي ؟

ان جيرترود تكذب بنفسها هذه المقالة الضالة المضلة، لانها تحاكي الرجال بل تفوقهم . فنعم ما اغدقه الله عليها من علمه .

القاهرة — وديع فلسطين

ليلاي

بورك للعروس في زفافها كالسوسن الابيض في عفافها

ليلاي* ! بالأمس كنت كأنما « هي » انت
فتاة حلمي ... التي قد تمثلت لي ... بنتي
كم ليلة عدت فيها في وحدتي ، فأعنت
يطول منك انتظار فان سكنت سكنت
وما رأيتك يوماً على الحضور منت
حتى اذا لاح صبح سبقت لي الصبح انت
فيا لها سبحات تمر بي ، منذ بنت
ذكراك فيها كنجم يضيء لي حيث كنت

بوركت ليلاي عرسا !
وطبت بالغد نفسا !

وكيف أنساك بنتي ! اذ كنت في المهد طفله
ترعاك عيني بحب ارى لأمك مثله
وكل دنياك زند وكل زادك قبله
تقلبين لحاظاً وما كلحظك مقله
تبثني ... وهواها يظل يفعل فعله
ولا كنومك .. لا نستقر حتى نظله
وتألمين فنخشى عليك من كل غفله
وتنطقين فأهفو كأنما الكون حفله

بوركت ليلاي عرسا !
وطبت بالغد نفسا !

ولست أنساك بنتي ! اذ كنت بعد غريره
حتى كتبت من العمر ـ باحتبائك ـ سيره
تلهين في « العش » شدواً كأنك العصفوره
عليك ثوب طويل وفي يمينك صوره
تهيئين لها كل جلوة منظوره
فتنثرين عليها مع الصباح زهوره
كم سرني ان بنتي كـ« عرسها » مسروره

* بمناسبة زفافها في ١٧ ربيع الاول ١٣٧٠

ألفي اذا غاب بدر على محياك نوره

بوركت ليلاي عرسا !
وطبت بالغد نفسا !

ولست أنساك بنتي ! اذ عدت في أخواتك
ما بين صغرى وكبرى وكلهن كذاتك
لهن منك جميعاً معنى الحيا من حياتك
تلقنين « ثريا » و « مي » حسن التفاتك
كأنما كل شعري عليه رمز صفاتك
فان بسمت لأم جزتك عن بسماتك
بما يرد لثغر ـ احبه ـ قسماتك
حتى ليفعم قلبي ما رق من نفحاتك

بوركت ليلاي عرسا !
وطبت بالغد نفسا !

ولست أنساك بنتي ! اذ أنت ذات نقاب
تخايلين على مدرج الهدى والصواب
معنية بشؤون مشغوفة بكتاب
تدرسين صبايا بلحنك المستطاب
وهن منك لينشقن نفحة من شبابي
اذ كنت ـ مثلك ـ اعنى بالنشء ، رغم صعابي !
حتى اذا عدت للبيت عدت لي .. ولما بي ..
وللملابس تكوى لحفلة او خطاب

بوركت ليلاي عرسا !
وطبت بالغد نفسا !

وأمس .. ليلاي أمس جليت في ثوب عرس
فالبيت يرقص تيها والليل مشرق شمس
لقد أتتك حسان يخطرن ، من كل جنس
يكاد يملأ اذني تغريدهن بأنس
كأن امك ما بينهن وردة امسي
اما أبوك ... فقد ظل حيث كان يمسي
حتى جلينك طيباً وما الحديث بهمس :
« اختاه ... ناديه حتى يرى العروس ... بنفسي ! »

فجئت انظر في روضهن أطيب غرسي
طبعتها قبلة فوق جبهة مثل ورس

ليلاي بوركت عرسا !
وطبت بالغد نفسا !

البحرين — ابراهيم العريض

من غراميات روسو

لاميل فاجيه
عضو الاكاديمي الفرنسية

لقد كانت مدام « دى وارنس » في التاسعة والعشرين من عمرها عندما تعرف بها جان جاك روسو الذي كان عندئذ في السابعة عشرة ، مكتنزة الجسم ، شقراء ، تميل الى القصر ، بطيئة الحركات ، ذات عينين جميلتين وشعر بديع وذراعين بضتين شهيتين وابتسامة جذابة ساحرة .

عرفت هذه المرأة ، التي كان لها في حياة روسو أعمق الأثر واكبره ، حياة اليتم والمسكنة منذ طفولتها البائسة ، وربّاها السيد تافيل ، على المبادىء المادية ، وكان تافيل هذا كما يعتقد روسو ، عشيق مدام دى وارنس الاول . حملها الى الهوى حملا ، وهي بعد في الثالثة عشرة من العمر .

ثم اعتنقت المذهب البروتستانتي واستمرت في خدمته طيلة حياتها .

وكانت خطوط شخصيتها المهمة ثلاثة وهي الطيبة ، والرغبة في اللذات ، والميل الى المغامرات الصناعية ، وكل أنواع المغامرات...

وقد أسست ، بعد ان تزوجت السيد دى وارنس ، في فيفي ، مصنعاً للجوارب سرعان ما أفلس .

ولكنها تركت دفعة واحدة ، وطنها وزوجها ، ومصنعها المفلس ، وسكنت هذه المدينة بعد أن اعلن ملك سردينيا حمايتها ، وكذلك مطران «آنسي» وراحا يمدانها بما يقوم بأودها بل بما ييسر لها نمطاً مترفاً من الحياة .

وقد ظن الكثيرون انها كانت تعمل في الجاسوسية . أما انا فأعتقد انها لم تكن لتهتم الا بالدعاية للمذهب البروتستانتي وتسجيل «أتباع» له جدد . اما العلاقات والتدخلات الدبلوماسية التي عزيت اليها فلعل مرجعها علاقاتها وتدخلاتها الدينية التي كانت تهتم بها فعلا .

ان كل ما زعمه روسو حول ميولها الى الالتزامات والأعمال الصناعية تثبته اليوم الوثائق العديدة الموجودة لدينا . ولعل هذه الميول تفسر نهايتها تلك الغارقة في البؤس والعوز . اما ما يزعمه حول مزاجها العاطفي ومسلكها الغرامي فلا تؤيده الوقائع ، لانه متناقض في ذاته ، بل ان ما وصلنا من المصادر الاخرى المتعددة لينهض ببطلان أقوال روسو من اساسها . انه يصورها امرأة ذات عشاق كثيرين ، لا يعنيها شيء من الاخلاق او المبادىء ، وقد تقطع حديثاً فلسفياً سامياً عميقاً ، لتذهب الى خلوة غرامية سريعة تخفف من حدة أعصابها ، ثم تعود الى المناقشة الفلسفية تلك باعصاب باردة واعية .

ومن ناحية ثانية فروسو يزعم ان مدام دى وارنس باردة المزاج ، وهذا الوصف لا ينطبق على ذاك « الا اذا كان روسو يتكلم بصفته الشخصية » .

كما ان ما يزعم لها روسو من التهالك على اللذات والاستسلام لاول عابر سبيل لا ينطبق على ما روى السيد «غونزييه» صديقها المفضل ، واقرب المقربين اليها ، الذي كتب ما كتب ليشيد بمآثرها وأخلاقها الفاضلة ، بكل خشوع ، بعد ان تمنعت عليه مدة طويلة فراح يصورها ويروي انها صورة الفضيلة الحية نفسها .

والحقيقة التي لا تقبل الجدل هي حد وسط بين هذين القولين . فقد كانت مدام « دى وارنس » على قسط وافر من الجمال وكذلك فقد كان يضج صدرها المتين بالرغبات الدائمة ، وبالنظر لدورها ومهامها ، فانها لم تستسلم الا لخدمها ولهم وحدهم !!!

وبالتالي فقد كانت حرة في تصرفاتها وحديثها ، وهذا يؤيده ما سجل عنها حين كانت تفر في غرفتها ، من احد زواياها دائرة حول الغرفة ، منطلقة في

ضحكة مجلجلة في حين يطاردهـا الزائر صارخاً « سيدتي ... سيدتي .. »

•

ولكنها تقبلت « روسو » بالكثير من التحفظ والبرودة عندما جاءهـا ، طريداً شريداً من جنيف ، ارسله اليها « دى بونتفير » . ومكث روسو في خدمتها ـ او قل حمايتها ـ بعض الحين ثم سافر الى تورينو . ومن هناك راح يكتب اليها بأسلوبه الملتهب النابض بالحياة ، وكانت هي تجيبه وتتخذ لهجته . ومن هذه اللحظة بدأت تحس لروسو بالمودة والعطف ، وقد حبب « روسو » الى مدام دى « وارنس » ما كانت تلمسه في رسائله من روايات بؤسه ومغامراته الفاشلة ، وعن مركزه الوضيع ، وكل ما يضم عقله وتعبيره الذكي واحساسه المشبوب من جمال آسر أخاذ ، تغذيه روحه البوهيمية الشاردة .

وهكذا استقبلته لدى عودته من تورينو احسن استقبال . ومن العجيب انها راحت تبني على الشاب آمالا عظاماً وتهيئه في ذهنها لحياة الاكليروس وامجادها العظيمة وراحت تفكر بارساله الى احد الاديرة ليدرس اللاهوت.. وكان كل أملها في أن ترى « تلميذها » راعياً لمقاطعة دينية ، يتزاوران في الشهر مرة اومرتين ويتحدثان او يقومان بالمشاريع النافعة .

•

وذهب روسو الى الدير فعلا ، ولكنه فشل سريعاً وقفل عائداً الى السيدة دى « وارنس » . وقررت هذه ان تصنع منه موسيقياً . فعهدت به الى السيد « ليمتر » لانها لا تستطيع ان تحتفظ به عندهـا ، وتتحمل من أجله مرارة العيش ...

وافترق روسو ومدام دي وارنس مدة طويلة . فقد سافرت هي الى باريس بصحبة السيد « اوبون » ، وسافر هو الى « ليون » ليتعلم الموسيقى على يد الاستاذ « ليمتر » .

وبعد مدة عاد « روسو » والتقى بمدام دى ورانس في « شامبيري » حيث كانت تعيش عيشة أشد تحرراً من حياتها في فيفي « وآنسي » وفي هـذه البلدة بدأت قصة غرام « روسو » الطاهرة بمدام « دى وارنس » . وكانت هي في تلك الايام ، عشيقة خادمها الذكي الحذر « كلود آنى » . وقد صرحت بهذا « لروسو » الذي لم يكن قد لاحظه لانه لم يعتد ملاحظة شيء .

كان روسو يحب مدام دى وارنس حباً لطيفاً . ينضح بالحنان الهادىء العميق ، الخالي من الشهوة . وكذلك كانت مدام دى « ورانس » تبادله حبه وكانت تلهو مع جان جاك . لانها كانت تحبه ، غير انها لا تشتهيه . ولكن روسو راح يحوم حول النساء الكثيرات اللواتي يراهن في بيت مدام دى وارنس ، وراح يطارح الفتيات العديدات الجميلات ، الغرام في منزل صديقته المخلصة ... وبدأ بعض الفتيات يستجبن لغرام هذا الفتى الجميل الذكي ... صحيح ان خجله كان يمنعه من الحصول على انتصارات حاسمة ، ولكنه كثيراً ما انتصر نصف انتصار على أكثر من فتاة وامرأة ولذلك فهو لم يحافظ على « سذاجته » التي اعتقدتها فيه « مدام دى وارنس » .

وفي عام ١٧٣٣ ، راحت « مدام دى وارنس » تعامل « روسو » معاملتها لرجل ... ولماذا ؟

هناك سبب « طبيعي » واضح ... وهو انها في الثالثة والثلاثين من عمرها ، وكل امرأة في هذا السن لا بد تميل الى فتى مكتمل في العشرين ، وهذا شيء طبيعي ، وليس نادر الوجود .

وبالتالي فقد دعته الى نفسها لترد عنه هذا السيل المتدفق من النساء والفتيات اللواتي أخذن يغرين صديقها وربيبها ، وقد رأت في ذلك الخطر كل الخطر على أخلاق « روسو » . وكذلك فقد دعته الى نفسها غيرة عليه لان قلبها ما كان ليخلو من حبه مها زعمت هي ، ومها غامرت وأحبت وأقامت من علاقات .

ولا أخجل ، او لا يأخذني الترفع السخيف حين أجاهر بهذه الحقيقة التاريخية المهمة وهي انه كانت في « روسو » عادة جنسية خبيثة ، وأحبت مدام « دى وارنس » ان تشفيه منها ، فكان بينهما ما كان .

اذن فعلاقة سنة ١٧٣٣ كانت علاقة فتى يضم الى صدره امرأة لا يشتهيها ، او قليلا ما يشتهيها ، وامرأة تستسلم لفتى ترى من « واجبها » ان تستسلم اليه .

وردة على صخر

مهداة الى الوردة التي ذبلت في كمها الاخضر

لفؤاد الخشن

يا وردة في نضرة العمر
بيضاء... قد غرست على الصخر!
اترى الاصم كقلب من غرسوا
ام للاصم ادامع تجري ؟

اين الجمال الطفل برعمه
والطيب اين مليكة الزهر ؟
...ذبل الجمال الغض من ظمأ
ومضى الشحوب بذلك العطر

اين الشفاه الحمر تسكرني
بسلافة اشهى من الخمر

اين النهود تموج راقصة
رقص الطروب بذلك الصدر؟
غاض العبير وجف منبعه
ولظى المدامة مات في الثغر

والنهد غام بصفرة جمدت
خرساء مثل سكينة القبر
يا زهرة ساظل أندبها
ما الهمتني ربة الشعر

واصب دمعي فوق تربتها
حتى يجف... وينطوي عمري!

وقد وجد روسو سيدته « باردة » في عناقها ، ولعل هذا يحملك على بسمة ساخرة ايها القاريء العزيز ، لان زعم « روسو » البرودة لسيدته جاء وهو لما يعرف غيرها ، ولكن رويداً ! فروسو يكتب هذا في الخامسة والخمسين من عمره ، ولعله يكتبه متأثراً بعناق حار مضطرم غير عناق سيدة «شامبيري» ولكن اي عناق ؟

قد يكون لذراعي مدام دى لارناج علاقة بالموضوع ، وقد كتب روسو في هذا الصدد لم أعرف اللذة الا بين ذراعي مدام دى لارناج .

●

ولكن لنا ان نعجب هنا كيف ان امرأة كمدام « دى وارنس » ، في الثالثة والثلاثين من عمرها ، ذات مزاج ملتهب ، تغازل فتى في العشرين ، ساحر ، نابض بالقوة والفتوة ، ثم لا ينتج عن عناقها غير البرودة التي يزعمها هذا الفتى ، في مستأنف ايامه ، اما انا فلا أرى حلا لهذا التعقيد الا ان روسو كتب هذا في شيخوخته دون ان يتمثل تماماً حالته الاولى وموقعها من الحب الصحيح .

●

لم تحسن مدام « دي وارنس » اختيار الوقت المناسب لاقامة علاقتها الغرامية مع روسو . فلو انها بدأتها قبل سنتين ، حين كان في « أمس » الحاجة الى الغرام ، او انها واصلته ، بعد ذلك باربعة أعوام ، اي عندما خلت حياته من الفتيات والنساء ، لاستطاعت ان تحتفظ به حتى آخر لحظة من حياتها ، ولكن المناسبة لم تكن موفقة .

وهذا لا يعني انهما كانا شقيين بحبهما . فقد كانت مدام دى وارنس على الشيء الكثير من حسن الحديث وروعة الخلق . وبعد ان حاولت ان تكمل ثقافة روسو وجعله من فرسان عصره ، بما تدفعه اليه من حب المبارزة والرقص والقراءة ، راحت تغريه على المطالعات العميقة القيمة .

وأخذت تعلمه الموسيقى والعزف على القطع المختلفة . ولا يستطيع الناقد الادبي ، مهما تزمت وغالى ، ان ينكر على مدام دى وارنس أثرها الكبير في روسو . فافكارها الحلولية الصريحة ، ومسلكها وآراؤها الايبقورية الجريئة ، وروحها المتحررة الرحيبة كان لها اكبر الأثر في مخيلة الشاب الناشيء . وكذلك فنحن نلمس اثر هذه المرأة في كتب روسو « كالتعليم والاعتقاد » و « كاهن من السافوا » . ولا شك اننا لا نستطيع ان نغالي في تقرير هذه الامور فلعل الافكار التي يزعمها روسو لمدام دى وارنس في الاعترافات هي الافكار التي تصورها لها او بثها فيها ...

ومهما يكن من أمر ، فان اربع سنوات سعيدة مرت بالعاشقين بين ١٧٣٣ و ١٧٣٧ .

وما ان سافر روسو الى «مونتبلييه» حتى انتهى كل شيء . ووجد عندما عاد « كلود آني » جديداً لدى مدام « دى وارنس » « فقد مات كلود الاصلي سنة ١٧٣٤ » . ولم يعد روسو ، بالنسبة الى مدام «دي وارنس» سوى الصديق الوفي - هذا اذا صدقنا ما زعمه هو في «الاعترافات» ، وعلى كل حال فالحرارة

الغرامية لم تعد موجودة فيما يكنه روسو لـ «وارنس» ولا ما تكنه «وارنس» لروسو، انه عاد الى سابق عهده بها وراح يحبها حب الابن لامه.

وكان احياناً يقوم، مع حبيبته القديمة، ببعض النزهات في غياب عشيقها، فيستعيدان جمال أيامهما الغابرة ويجد هو في هذه النزهات شيئاً كبيراً من الجمال ايضاً. وكان يعبد ـ على الخصوص ـ منزل «الشارميت» Charmettes وقد خلده في كتبه العديدة. وكان هذا المسكن الساحر كاسمه، يمثل في نظر روسو، الحرية والهواء النقي، والمناظر الخلابة، والكسل المنتج، والمطالعات الغزيرة، التي يتركها ويبدأها الانسان حين يحلو له ... وهكذا لم يسعد روسو ـ من الناحية الفردية ـ سعادته في «الشارميت».

ولم تدم هذه السعادة سوى فصل من الزمان. فاذا نظرنا الى الحيز الذي خصصه روسو «للشارميت» في «اعترافاته»، ظننا انه مكث دهراً طويلا. والحقيقة ان «روسو» لم يسكن «الشارميت» الا في فترات متقطعة لا تكاد تبلغ الثلاث سنوات. هذه السنوات التي رأى في نهايتها «حب مدام دى وارنس يبرد شيئاً فشيئاً، لان لها عشيقاً غيري، مملوءاً بالقوة والنشاط والقسوة والفتوة، وهو صناعي ـ كما تهوى الرجال ـ ولذلك كان لها فيه ثقة كبيرة» ولعل لمدام دى وارنس عذرها في هجر روسو. فان ما لم يبينه روسو لا في اعترافاته ولا في غيرها من الكتب، كيف انه كان يبتز نقود عشيقته، ويمتنع عليها ... في احرج الساعات واحوجها اليه ... وكيف كان يتركها ... او يهجرها لاقل بادرة ويقضي زمناً طويلا في باريس او جنيف او متشرداً من بلد الى آخر ... ثم يعود طالباً المغفرة، ليكرر هربه وتشرده ...

وبعد ان تأكد «روسو» من انصراف مدام «دى وارنس» عنه نهائياً، تركها وسافر الى باريس. مرتاح البال والضمير، مطمئناً الى انه سيترك خلفه امرأة يرتاح بالها وضميرها ان تركها.

وكان يحمل، من علاقته بمدام دى وارنس، بعض الذكريات اللطيفة، وعقلا مثقلا ـ بشيء من الاضطراب ـ وبالكثير من المعلومات الفكرية القيمة التي استقاها من مطالعاته الكثيرة في بيت «مدام دى وارنس» ومن احاديثه معها. ويحمل معه ايضاً تلك الفكرة التي كانت تهيء له بان على المرأة المحبوبة ان تنفق على الشاب الذي تحبه ... وهي فكرة عميقة الجذور عند روسو... طالب بتنفيذها جميع النساء اللواتي احبهن.

هنا ينتهي حب مدام دى وارنس لروسو. وهنا يبدأ حب روسو لمدام دي وارنس. لان روسو لم يعشقها طالما كانت متيسرة له، ولكن ما ان افترق عنها حتى راح يهواها كأشد ما يكون الهوى، وطفق يكتب اليها من باريس مرات عديدة في الشهر. حقاً انه كان يطالبها احياناً لترسل اليه بعض النقود نظراً لحياة التشرد والمغامرة التي يحياها ولكنه عرج عليها، في طريقه الى مدينة البندقية، ومن البندقية كتب الى عشيقته القديمة معاتباً على انقطاع رسائلها عنه

وقد ظل يكتب اليها، حتى بعد علاقته بالآنسة تيريز «ليفاسور». قائلا ان حياته يجب ان تنتهي على مرأى ومسمع من المرأة التي ظل طيلة حياته يعبدها ـ وهي مدام دى وارنس.

وقد ظل روسو، بين السنوات ١٧٤٢ ـ ١٧٤٦ يقنع نفسه بأن سبب هجرانه «مدام دى وارنس» الوحيد هو فقر هذه الاخيرة وحالة الغرق البطيء التي كان المنزل المشترك يعانيها... وخلال هذه الاعوام الطويلة تبلورت صورة مدام دى وارنس في خياله، وحملت في ذهنه نحو المثالية الرفيعة. وهكذا اصبحت هي هي المرأة المخلصة، المرأة الام، الطيبة الحساسة، والاخت الساهرة التي تعاني الآلام في سبيل أخيها. وصحيح انها قد تستسلم للآخرين ولكن في سبيل إذكاء حبه لها فحسب، وكان روسو يضيف الى هذه الصفات، العقل الراجح، والذكاء النادر، والفلسفة القيمة التي تحبب الى الانسان سماع صاحبتها ومحبته معانقتها.

وقد تزايدت هذه الصورة المثالية، يأخذها روسو عن حبيبته الاولى، وتضخمت بما نبت لها من فروع واغصان واحتفظ بها روسو حتى نهاية حياته. ولم تزل حتى في سنة ١٧٥٤، حين ابصر روسو مدام وارنس، شبه عجوز، في حالة من الفقر المدقع، بعد ان دفع اليها شيئاً من النقود التي استدانها، وكم كان تأثره عظيماً عندما رآها تهدي الى خطيبته الآنسة «ليفاسور» خاتمها الجميل.

وبعد ذلك بزمن طويل، اي في ٢٩ يوليو سنة ١٧٦٢، وبينما كان روسو في ذروة متاعبه وجهاده الفكري العنيف، وصلت اليه رسالة من السيد دى «غوتزييه» ينعي اليه فيها صديقته القديمة، وهي في أشد حالات البؤس والحرمان ....!!

خلو

لالبير اديب

ارخي الرداء

كل شيء هوى

لم يبق غير فضاء

مات حتى الصدى

حتى السكون زال

عاش الفناء وحده

... بشع كريه

مثل الرياء

لجة وراء لجة

خمر ... وشمطاء ... وليلاء

نهم ... نهم ...

جاع السكارى

فادلقي ... ادلقي ...

البؤس خمر

الياس آله

... حشرجة الكلمة

... وانبثاق النور

... مَنْ مزّق النغم !!

... من ابكى الراعي !!

... من نهش الشاة!!

عاد الصدى فاستجاب

ايها العبد قمْ

تمزق النغم

أرأيتَ العدم ؟

ربكَ اليوم جاع ...

عاد العدم فاستجاب !

الذباب والحرية

على المسرح الفرنسي

بقلم سهيل ادريس

لست ادري لماذا أحس بألم شديد ينتابني كلما حضرت تمثيل مسرحية على احد مسارح باريس! كل ما أدريه اني اذكر حينذاك بلادي، واحاول ان اتذكر مسرحية عربية واحدة ترضي الفكر والذوق معاً، فلا أكاد أجد.

وحين أقبع في مقعد متواضع بأحد المسارح الفرنسية، اجيل نظري في هذا الجمهور الحاشد الذي أقبل يرتشف الثقافة من خير منابعها، واذكر هؤلاء الذين يقبلون على مضض ان يضحوا بساعتين من وقتهم ليشهدوا مسرحية عربية، وهم لا يتجاوزون بضع عشرات، فاشعر بغصة اشد إيلاماً.

وأتساءل بعد بحيرة: أيها المسؤول عن هذا الوضع في بلادنا؟ أهو انعدام «المستوى» الثقافي في الشعب، ام انحطاط «المستوى» الصالح في المسرحيات؟ الأمران جميعاً على ما يخيل الي، فلئن كان الشعب لا يقبل على هذا الغذاء، فلأن الغذاء يفتقر الى حد كبير الى المادة الدسمة غير أن هناك حقيقة اخرى: هي اننا – معظمنا – لا نعتبر الثقافة العامة الا لوناً من الوان الترف والبذخ، بينما الغربيون – معظمهم او كلهم – يعتبرونها حاجة حيوية لا تقل أهمية عن الهواء والطعام، لأنها تغذي الفكر، كما تغذي اللقمة الجسم، وكما تحيي النسمة الرئتين.

لست اقصد هنا الى معالجة هذه المشكلة من حياتنا الاجتماعية والمدنية، فهي شديدة الاتصال بمشاكل اخرى كثيرة ينبغي ان تعالج كلها على انها حلقات من سلسلة متصلة، وانما اذكر هذا الألم وتلك الغصة مرة اخرى بعد مشاهدتي ليلة أمس مسرحية «الذباب» لجان بول سارتر على مسرح «لوفيو كولومبيه». والذي اوده هنا ان استعيد هذه المسرحية الرائعة، واتأمل فيها، واحفر حروفها على الورق، وهي لا تزال تعمر فكري وتكاد تشغله عن كل موضوع غير موضوعها ولعلها بين عشرات المسرحيات التي شهدتها حتى الآن، أعمقها فكرة وادعاها للتأمل. فهي على الرغم من إمعان ابطالها في القدم التاريخي: تعالج مشكلة أشد ما تكون التصاقاً بحياة الفرد في كل عصر وهي من هذه الزاوية إذن مسرحية انسانية خالدة.

هذه المسرحية كتبها سارتر في عام ١٩٤٣، يوم شاءت «فيشي» ان تغرق الفرنسيين في عار التوبة والخجل ازاء قوى الاحتلال، فكانت محاولة سارتر ترمي الى استئصال هذا المرض، مرض التوبة، وهذا الاستسلام للعار اللذين كان ظلها يخيم على الشعب الفرنسي. وقد كان من الطبيعي ان يفطن دعاة التعاون الى مغزى المسرحية، وينجحوا في منع عرضها. غير ان النجاح العظيم الذي تلقاه الآن دليل آخر على ان موضوعها خالد، وليس بوسع الملابسات والظروف ان تبليه.

إنها مشكلة الحرية كأساس للانسانية او بالاحرى، كشرط لازم لها. والحادثة – بحد ذاتها – على جانب كبير من البساطة، وينبغي للحضور في الواقع الا يهتموا لها الا بقدر ما هي ضرورية لجلاء الفكرة وأحسب انهم انما اقبلوا على مشاهدة المسرحية ليحاولوا استجلاء طرف من فلسفة سارتر الذي يملأ اليوم جانباً كبيراً من ميدان الفكر والفلسفة والادب في فرنسا.

يدور الموضوع – كما فهمته – حول الحادثة التالية: كليتمنستر ملكة شعب أرغوس تنجح بمساعدة عشيقها أجيست – قائد الجيش – بقتل زوجها الملك أغاممنون، ثم يفرضان سلطتها وطغيانهما على هذا الشعب في ظل جو مثقل بالارهاب. وقد كان من تأثير هذا الارهاب شعور افراد الرعية بأنهم غارقون في الآثام والذنوب، وان عليهم ان يقضوا حياتهم في الندم والاستغفار. اما الندم فكان يتقمص بشكل ذباب ضخم يغير على الناس ويذكرهم أبداً بآثامهم، وهكذا يعيشون في جو من العبودية والصغار والحسرات. ويذكر التاريخ بعد ذلك انه نجا لاغاممنون ابن يدعى اورست، حمل وهو صبي الى اليونان خشية ان يقتله مغتصب العرش أجيست، بينما ظلت اخته الكترا خادمة – بل عبدة – في قصر عشيق امها الطاغية. ويشب الفتى اورست فيعود ذات يوم الى موطنه ويعتزم مع اخته الكترا قتل امها وعشيقها، وينفذان ذلك بكل سهولة.

هذه هي الحادثة. وبطلها الرئيسي هو اورست دون ريب، وفيه يصب سارتر في الواقع فلسفته الوجودية، او فكرة الحرية – على الاقل – في هذه الفلسفة. فاورست يصبح – حين ينفذ القتل – بطلا للحرية، وهو يدرك تماماً ما فعل بالرغم من فتوته، ولهذا نراه يقوى على آلهات الندم – الذباب – لانه يحمل مسؤولية عمله، ويعي التبعة التي القيت – او القتها ارادته – على عاتقه. وجدير بالذكر ان اورست كان قد ساق في اثينا حياة لاهية، في جو بورجوازي عابث، وهذا ما يضاعف من قدر وعيه

ساعة يعزم على الثورة .

وقيمة هذه الحرية الواعية التي تملأ نفس اورست ، تظهر اشد وضوحاً حين تقارن بمسلك سائر ابطال الرواية: ألكترا وأجيست والاله جوبيتر الذي يمثل هنا ارادة الامر الواقع المقدس من قبل الالوهية .

فان ألكترا بالرغم من جرأتها وحثها اخاها على القتل تظل تلك المرأة المترددة الحائرة التي لا تستطيع ان تخرج من نطاق الدائرة العاطفية الا لتعود اليها نادمة . فهي هنا لا تأتي اعمالها بدافع من الحرية المطلقة ، وانما بدافع من البغض والكراهية والرغبة في الانتقام ، وهي كلها عواطف موقتة غير واعية . وهذا ما يشرح لنا كيف انها انكرت الغضب الذي استولى عليها حين حثت اخاها على الانتقام ، واستنكرت هذا الغضب فعادت الى التوبة .

وأما أجيست ، الملك المغتصب ، فيبدو في المسرحية ذلك الرجل الجامد الذي انهكته سلطته ، وحطمه الاشمئزاز ، حتى لنراه يستسلم بكل اندفاع الى خنجر القاتل . والواقع ان الطغيان قد حبس اجيست في دائرة مفرغة : فالمفهوم انه انما قتل اغاممنون لينتشر النظام على يديه ولكي يؤمن هذا النظام فيخشاه الآخرون ، اختلق شبكة من المعتقدات والخرافات والطقوس كانت تدخل الرهبة في نفوس الرعايا ، فيستسلمون لطغيانه ويقاصونه ضميره المدخول : غير اننا ما نلبث ان نجده قد سقط هو الآخر ضحية للصورة التي فرضها على رعاياه ، فكان كل شيء لديه بعد ذلك ينصب في الخوف وينبع منه . خوف من الاشباح التي اخترعها هو نفسه ليرعب الآخرين اذ تتقمص حسراتهم في الذباب المخيف ، وخوف من الفراغ الذي كان يشعر انه يملأ جميع جوانب نفسه ...

وحين يقوم اورست بثورته ، لا يقوم بها ضد السلطة الزمنية وحدها التي يمثلها اجيست المحارب القديم ، وانما يقوم بها كذلك ضد سلطة روحية يمثلها آله ذكي خبيث ، يهمه ان يعبده الناس بالندم والاستغفار . ولهذا نرى اورست يتطاول على الالوهية العابثة ، ولا يتردد في ان يخاطب جوبتر بقوله: «انت إله على الاشياء ، على الشجر والطير والحيوان ، ولكنك لست إلهاً ياجوبتر ـ على الانسان الحر » وهذه هي ـ كما يبدو ـ ناحية الالحاد في الفلسفة الوجودية .

وإذن ، فان اورست مدعو للقيام بالثورة اللازمة في حرية مطلقة تامة . ودليل هذه الحرية انه لم يندم بعد ارتكاب القتل ، وانما هو قد غرق في الاطمئنان الكامل . انه لم يقتل بدافع من الثأر او من الطمع بالعرش ، فاننا نراه يرفض ان يستحوذ على الحكم ، ويغادر وطنه الاصيل ـ في آخر المسرحية ـ دون ما رغبة في العودة اليه ، حاملا معه آلهات الندم ، الذباب الذي كان يكتسح البلاد ويلقي سكانها في عذاب العبودية ، وهذه آية وعيه « لرسالة » تضطرم بها نفسه ، لا لغايات ومطامع .

لقد قتل بحرية لمعاقبة المجرمين اللذين ارديا المجموع في الانحطاط ليسهل عليهما استعباده. فبدلا من ان يسحق الآخرين ـ كما فعل أجيست ـ تحت عبء ندم لا بد ان ينسحق به هو نفسه ، وبدلا من ان يكره ذاته ، ومن ثم الآخرين ، يحررهم ويطلقهم من عقال الخوف ، فيجد مكانه الحقيقي ويحقق مهمته متحملا تبعة هذا المجتمع الضال ، دون ان يتردد في تلطيخ يده بدم امه وعشيقها ... ان اورست يحرر المجتمع مرتين : الاولى بقتل طاغيته واثبات حرية الطبيعة الانسانية، والثانية بتلبس دور الضحية التي يستطيع الجميع ان ينفضوا عليها عبء آثامهم

وقد كانت ثورة اورست ، بعد ذلك تحطيماً للنطاق المقدور ، وشقاً للطريق الذي يفضي الى الحكم الحر . وهو لا يود الاستيلاء على هذا الحكم ، فما دام هو حراً فليس له ان يتسلط على الآخرين او ان يعاملهم كأشياء ما دام هو دون قيد ، فلن يقبل ان يقيد الناس . ولهذا نراه يهجر بلده بعد ان ادى مهمته .

العبرة التي يلقيها اورست على سكان أرغوس من مسلكه ، بعد ان حررهم من هذا الفزع الاكبر ، ليست هي الا مثل حياته: على كل انسان ان يفعل مثله ، ان يقوم بالقفزة ، ملزماً نفسه ـ بشكل خطر ، ولكن بارادة مطلقة ـ سلوك الطريق الوعر الذي شق امامه لبلوغ خير المجموع الذي يبحث عنه . وهذا ما عناه اورست بقوله مخاطباً الاله جوبيتر: « لست السيد ولا العبد ، وانما « انا » حريتي ! » ثم يصرح بعد ذلك بقوله : « على كل انسان ان يختلق طريقه ! »

واختلاق الطريق ، يعبر الى حد كبير ، عن مفهوم الانسان الوجودي كما يتصوره سارتر . واختلاق الطريق في مدينة أرغوس يعني ان المدينة بدلا من ان تكون مجموعة أسياد وعبيد ، تتحول الى مجموعة كائنات حرة أصبحت تعي مسؤولياتها ، وتبلغ ، بعد تحررها من النير ، المستوى الذي تريده ، مجتازة العواصف محطمة العقبات .

*

ذلك هو الدرس الخلقي الذي استطعت ان افهمه من مسرحية «الذباب» لسارتر وهو ـ كما اعتقد ـ يصلح لكل زمن ، ولكل مجتمع . ولعله اشد ما يكون صلاحاً لمجتمعنا نحن ، المجتمع الشرقي او العربي ، الذي يرعب سكانه طنين ذباب الاقطاعية والرجعية والطائفية والعبودية، لاسيما العبودية بكل معانيها ، وبالاخص معنى نقضها للحرية بمختلف صورها .

باريس — سهيل ادريس

نار ... ونار !

✡

للآنسة فدوى طوقان

•

نابلس

•



بجسمي قفقفة وانخذال
فيا نار زيدي لظى واشتعال
ومدي بجوي دفىء الجناح
فللبرد عربدة واجتياح
أما تسمعين احتدام النضال
نضال العواصف فوق الجبال
وانت اعصفي واملئي ليلتي
بدفء يهدىء من رعدتي
فحولي يدب صقيع الشتاء
دبيب الفناء
فبثي الحرارة في غرفتي

*

ألا يا ابنة الأعصر البائده
الا قدست روحك الخالده
بثي وازفري ، نضنضي والهبي
بلى ، هكذا هكذا واسربي
بروحك في عزلتي الهامده..
وفي قلب جدرانها البارده..
بلى هكذا عانقي ذاتيه
بموجة انفاسك الدافيه
احس بقرب لظاك الحبيب
شعوراً غريب
خفياً كألغازك الخافيه

*

فها أنا أطفىء مصباحيه
وأعنو لغمرة احساسيه
فتحملني نحو ماض سحيق
وارنو هناك لطيف رقيق
لطيف طفولتي الفانيه
بأيامها المرة القاسيه
واذ أنا يا نار شيء صغير
يفتش عن نبع حب كبير
سدى ، ويظل لقى مهملا
فيمضي الى
رؤاه ، وفي افقهن يطير !

واذ انت دنيا غموض تلوح
لعين خيالي الطليق السبوح
فكنت رفيقة أوهاميه
ومسرح احلام يقظاتيه

وادفع نحوك جسما وروح
واخشع قرب لظاك الجموح
وأمضي وفي انجذاب عميق
احدق ، مأخوذة بالحريق

وارقب في سكرة واندهال
جموع الظلال
ترجرج فوق الجدار العتيق

*

وألمح خلف اشتعال الحطب
وقد شب في ثورة والتهب
خيالا لدوح قديم وريف
نمته الحياة بغاب كثيف

قد ازدحمت في حشاه الحقب
... وكنت اخال كأن اللهب
تعانق فيه ضياء القمر
ولون الغروب ولون السحر

وكل شعاع على الدوح مر
وظل عبر
قد ارتد في اللهب المستعر

*

وفي سبحاتي بدنيا الأوار
تباغتني حزمة من شرار
قد انقذفت من فم الموقد
تؤز ، فأرسل فيها يدي

هنا وهناك بشوق مثار
لأخطف تلك النجوم الصغار
فكانت تروغ وتركض في
مداها ، وسرعان ما تختفي

واسأل نفسي : اين يغيب
شرار اللهيب ؟
وهل تحزن النار اذ ينطفىء؟!

وها أنا يا نار لو تعلمين
فتاة طوت حزمة من سنين
وما زلت رغم العهود الطوال
تثيرين فيها جموح الخيال ..

وحين تغورين او تزفرين
كأنك نفس تقاسي الحنين ..
أغوص الى عمق اغواريه
اجوس عوالمها القاصيه

فألمس فيها أواراً غريب
وما من لهيب ..
أوار شعوري واحساسيه !

*

امن عنصر النار اعماقيه ؟ !
اروحك يا نار بي ثاويه ؟!
فما هذه العاطفات الحرار
لها في الجوانح اي استعار

وما هذه اللهفة العاتيه
تشب فتلهب خلجاتيه
وتعكس وهجاً على مقلتيه
وتلفح لفحاً على شفتيه

وهذا الحنين ، وهذا القلق
وهذي الحرق
كأن بذاتي نار خفيه !

*

مضي الليل ، غير هزيع قصير
وانت همدت كأهل القبور
وحبات جمرك بعد اتقاد
خبت واستحالت تلول رماد

أتخمد مثلك نار شعوري
غدا ، وتؤول لهذا المصير ؟
أيغشى أواري رماد السنين؟
أيهمد قلبي كما تهمدين ؟

لماذا ؟ اتدرين ؟ ام انت مثلي
أسيرة جهل
أجيبي ، أجيبي ، أما تسمعين ؟!

الرمزية في ادب جبران خليل جبران

بقلم عدنان الذهبي

- التجربة الجبرانية : جبران خليل جبران بين الشك والمحبة ، نزوعه الصوفي ، انسانيته ذات الطابع المسيحي الحلولي
- الاسلوب الجبراني: خصوصية المعاني والوجدانات الجبرانية، القصص الروائي ، والقصص الرمزي عند جبران خليل جبران ، الحوار الانجيلي التعليمي ، قوة الخيال .
- فنية جبران خليل جبران : الادب الانساني ، جبران خليل جبران بين الواقعية والرمزية

جليلة هي حقاً تلك الحركة الفنية الادبية ، التي في ادبنا العربي الحديث ، قد اوجدتها المهاجر العربية : شماليها ، وجنوبيها ، والتي اخذ شرقنا العربي اليوم ، يقدر لها افضالا جمة : روحية ، وفكرية ، وفنية ، تمشى الانتاج الفني الادبي فيها جنباً الى جنب مع كل ما زخرت به حيوات اعلامها ، من تجارب اجتماعية ونفسية ، فتنته بجدة نمطها ، كما فتنته بجدة معانيها ووجداناتها وفنيتها ، وبخاصة تلك التي كانت وليدة الاحتكاك الثقافي بين هؤلاء الاعلام ، وبين شتى الثقافات التي قدمها لهم وسطهم المهجري ، هناك ، في العالم الجديد .

والرمزية في ادبنا الحديث ، ان كنت ارد منابعها الى جبران خليل جبران الذي عاشها ، وبشر بها ، بكل من ادبه ورسمه، الا انها ما احوجها، حتى في درسنا لها عند جبران خليل جبران الى ان تدرس، في عصر هذا الاديب العظيم كله ، ولا سيا ، ونحن نلمح في كتابات معاصريه، ومن سبقهم ايضاً من المهجريين وغيرهم، ذكراً للرمزية وآثاراً، كنا اشرنا الى ابرزها في مقالتنا: «تمهيد لدراسة بلاغة الرمزية»، المنشورة في عدد كانون الثاني ١٩٤٨ من مجلة الاديب ، ثم كان لجبران خليل جبران هذا التفرد البارز ، ان بمعاناة اسلوب حياتها، هذه الحياة التي سنراها عنده حياة انطوائية ، كلها اضطراب وتشتت وصراع ، كان عقلها في نفسه ، نزوعه الصوفي التأملي ، او بمعاناة انتاجها الفني في كل من الادب والرسم، هذين الفنين اللذين غلبت عليهما، هما بدورهما المسحة الصوفية التأملية ، او لنقل ايضاً ، المسحة الدينية من الشعور والتفكير والتعبير ايضاً .

ولقد كنا تحدثنا في عدد سابق من الاديب، عدد يناير ١٩٥١ عن رسم جبران خليل جبران الرمزي، وذكرنا فيه امر ما نطق به هذا الرسم الرمزي من معان ووجدانات فلسفية ودينية خاصة، وامر اسلوبه الرمزي ذي المسحة السلفية الاصولية المتزنة ، ونريد اليوم ان نتحدث عن ادبه الرمزي ، وهذا بالكلام في حيوات جبران خليل جبران الفكرية والوجدانية من جهة ، والكلام من جهة ثانية ، في اسلوبه الادبي ، الكتابي ، وما امتاز به من قوة الخيال ، ومن نحوه المنحى الحواري القصصي .



واما عن الحياة الخاصة لهذا الاديب العظيم جبران خليل جبران فلقد كان لمناسباتها الطريفة والثرية : ان في ولادته في بشري ، في لبنان عام ١٨٨٣، او في مهجره ، فيما بعد ، الى العالم الجديد مع عائلته الفقيرة ، او في اسفاره ، بعدها ايضاً طلباً للعلم ، او بالاحرى طلباً

للدراسة الفنية ، او في تقلبه في اخريات حياته ، بين آلاء الشهرة والمجد ، حتى توفي في نيويورك عام ١٩٣١ ، اقول اذن انه كان لجبران خليل جبران ، بحياته ومناسباتها الطريفة والثرية هذه ، خصوصية بارزة حقاً ، من التجارب الاجتماعية والنفسية المختلفة : خصوصية سنجدها فيما بعد ايضاً في حيواته الفكرية والوجدانية والاسلوبية ... وهكذا ... مما كان انتظم عقداً ثميناً حقاً ، هي حياة الفنان المطبوع ، المليئة بالطريف ، الثري من المناسبات ، المناسبات المواتية ، المساعدة له على تحقيق مكانياته ، ما اكثر ما تنطق بها فنونه ، يتنقل جبران خليل جبران معها ، من تجربة الى تجربة ، ومن حال الى حال ، محققاً شيئاً فشيئاً رسالته التي اصطفاها واصطفته .

وحدثان اساسيان من احداث هذه الحياة احب ان الفت اليهما النظر هنا ، لما لهما من عميق الدلالة على حيواته الفكرية والوجدانية والفنية ، وهما : سفره الى العاصمة الفرنسية بين عامي ١٩٠٨ و١٩١٢ ، طلباً لدراسة فن الرسم من جهة ، ثم تأسيسه عام ١٩٢٠ في نيويورك لجماعة «الرابطة القلمية» ، هذه الرابطة الفنية الادبية في اسمها وغايتها ، والتي خدمها ايضاً معه ، ثلة من اكابر ادباء المهجر وشعرائه ، ابرزهم : ميخائيل نعيمة ، رشيد ايوب ، نسيب عريضة ، ايليا ابو ماضي ، وليم كاتسفليس وندره حداد وعبد المسيح حداد .

وذلك ان هذين الحدثين ليدلاننا ، وسط كل ما نطقت بها فنونه من معان ووجدانات خاصة ، ووسط كل ما كانت النقاد قد قالت فيه وفي فنه ، انهما ليدلاننا اذن على حقيقة هذا النموذج من الشخصيات الفنية الادبية : وهذا بوضعهما ايدينا على مفتاح هذا النوع الخاص من الآفاق الفكرية ، والوجدانية ، والفنية التي لادبه ورسمه ، او بالاحرى ، على المحور الذي ظلت تتمركز حوله هذه الآفاق : وهذا المفتاح ، او لنقل هذا المحور هو التفنن ، لا التفلسف ولا التمنطق المنهجيين العلميين الواعيين ، مهما قاربت آفاق هذا التفنن ، آفاق التفلسف ، او بلغة جبران خليل جبران مهما قاربت آفاق النبوة والاصطفاء .

واياً تكن تلك الموضوعات الفلسفية والدينية والاجتماعية التي يعالجها جبران خليل جبران في كل من ادبه ورسمه ، والتي يعالجها ايضاً فيها معالجة فنية ، هي معالجة الفنان الاديب ، المتأمل الناقد ، فهي في نظرنا ، لا يصح معها ان نعد صاحبها فيلسوفاً ذا مدرسة فلسفية او فكرية ، بل اننا لا نراها ، مهما غلغلت افكارها ، او مهما دقت مشاعرها ، لا نراها تخرج عن حيزها الفني ، الذي لها ، هذا الحيز الذي لم يتعده جبران خليل جبران في كل ما فكر وشعر وكتب ورسم : وهذا اساس فهم هذا الاديب والفنان العظيم ، وفهم فنه .

وفهم جبران خليل جبران هو فهم لأديب درس على الطبيعة والحياة اكثر من درسه على اساتذة الفكر والفن واعلامهما ، اديب جل ما فعل به اصطدامه بالثقافات الفلسفية والفنية ، هو انه اوصله الى آفاق هذا النشيد الفلسفي ، الادبي الذي استأثر به ايما استئثار وهو نشيد الانسانية بافكارها ومشاعرها ، يعبر عنه بكل حذق وابتكار ، ومن هنا اصالته ، وخصوصية تجربته في كل من حيواته الفكرية والوجدانية والاسلوبية .

وفي حدود هذا النشيد الانساني ، فالذي ميز جبران خليل جبران ، انما هو قلقه العميق والمتواصل بين الشك والمحبة ، هذا القلق الذي أجج ناره فيه اصطدامه بالفيلسوف الالماني فريدريك نيتشه هذا الاصطدام الذي أخرج «عبد الله» جبران

خليل جبران من برجه ليحمله اول ما يحمله الرفش ، فيهوي به على ما في المجتمع من قيم ، الا انه في الحقيقة، لم يقو على حمل هذا الرفش الذي حار به بين المسيحية وقيمها، وخاصة ايمانها الحلولي بالله ، ومحبتها الانسانية للناس ، وبين تلك الشطحات النيرانية الجبارة ، شطحات نيتشة التي لا تبقي على شيء من هذه القيم ولا تذر : فكانت حيوات جبران خليل جبران الفكرية والوجدانية والفنية صورة صراع عنيف. وخاص حقاً، هو هذا الصراع بين النزوع الصوفي الى الله ، وبين الكفر بكل معنوي لامرئي او لنقل ايضاً مع نيتشه ، الكفر بكل عقل او نظام في الوجود من جهة ، وبين النزعة الانسانية المحبة للانسان ، وبين اهدار كل قيمة انسانية ، هذا الاهدار الذي يحلله نيتشه ايضاً ، ان تحقيقه ذاته القوية هي غاية وجوده من جهة ثانية .

واما الذي بقي لخصوصية التجربة الجبرانية في مجالي التفكير والشعور، انما هو نزوعه الصوفي الى الله تعالى ، الله الذي يراه جبران خليل جبران العقل الكلي والروح الشاملة ، والذي ان هو يطلب من الناس في «حديقة النبي» ان تصرف التفكير فيه، الى التفكير في امور معاشها ، الا انه ليبوح في شتى كتبه بنوع ايمانه به ، هذا الايمان الحلولي الذي يرى الله في كل شيء في هذا الوجود، يراه في الزهر والشجر والحجر كما يراه في الانسان نفسه.

وعجيب حقاً امر هذا النزوع الصوفي الجبراني الى الله تعالى وحياة جبران خليل جبران الخاصة على ما هي عليه من الانغماس المتواصل في مباهج الحياة ينهلها يوماً بعد يوم على اسرة الغواني، او بين جدران الحان غير عابىء بالمبادىء الروحية والفلسفية التي كانت تهيمن اكثر ما تهيمن على تفكيره وشعوره طيلة حياته ، وهي التعاليم المسيحية: هذه المسيحية التي تتبينها من ايمانه الحلولي بالله سبحانه وتعالى ، ومن مناداته بالمحبة شرعة بين الناس تكون اساس علاقاتهم الاجتماعية .

ولكن هكذا كان جبران خليل جبران في اعماق اعماقه تتصارع في نفسه هذه المتناقضات من المشاعر والافكار ، وهو ابداً جسم على الارض انهكته مباهج الحياة وروح في ملكوت ربها تريد ان تضم اليها كل شيء : تحبه وتحكم فيه فكرها. وكم ذا احب جبران خليل جبران هذا الوجود ومظاهره الآسرة المختلفة . ولكن ، كم ذا لم يطل باعه لبلوغ قمم اليقين والحقيقة والتمذهب في محاولته تحكيم رأيه فيه .

وانت اذا جربت ان ترد جبران خليل جبران الى مدرسة من المدارس الفلسفية والدينية التي اصطدم بها واخذ يعالج امورها ومشكلاتها هذه المعالجة التي يوهمك ما لها من مسحة انسانية تجريدية بان لصاحبها رأياً نافذاً يقينياً هو رأي الفيلسوف المجمع، او رأي العالم المحقق ، اقول اذن انت اذا جربت هذا ، لم تجد لجبران خليل جبران مذهباً قائماً بنفسه يميزه تمنطق منهجي او نظرة مجمعة ، ولقيت هذا الفنان والاديب المعذب المضطرب على صخرة مسيحيته المؤمنة المحبة للناس والسلام يتارجح بين تيارات مختلفة من الثقافات : ابرزها فلسفة نيتشه الوجودية الاجتماعية الملحدة.

وبهذا اذن قد كان للرمزية عند جبران خليل جبران ، الى جانب ما اوتي من قوة الخيال هذا النوع من النزوع الصوفي الانساني الى الله سبحانه وتعالى، الله الذي كان سبيل جبران خليل جبران اليه تلك الكوى التي لمسيحيته العميقة الجذور في نفسه.

اما اسلوب جبران خليل جبران فلقد ظهرت الرمزية فيه على شكلين، احد هذين الشكلين هو رمزية جزئيات الجملة الجبرانية بين تشبيه واستعارة رمزية، شأنه في هذا شأن عامة الادباء وخاصة العرب القدامى البعيدين عن التمذهب الغربي وفنيته ، وثاني هذين الشكلين وهو المهم هو الشكل الاسلوبي العام في كلية اسلوب جبران خليل جبران هذا الاسلوب الذي كان الحوار والقصص الرمزيان مظهرين من مظاهره التعبيرية الفنية جسدتها ابرز كتب جبران خليل جبران ، الا وهي : المواكب ، فالنبي ، فآلهة الارض ، فحديقة النبي .

وهنا مع هذا الشكل الاسلوبي من الرمزية التي كان الحوار والقصص الرمزيان مظهريها البارزين لا ننسى ان نقول ان جبران خليل جبران قد بدأ حياته الادبية والفنية والفكرية قاصاً روائياً تراوحت كتاباته بين الغنائية الذاتية وبين الواقعية القريبة من

الغنائية الذاتية ، يتناول فيها امور المجتمع ومشكلاته او مشاكل حياته الخاصة ومناسباتها ناقداً فاحصاً كما تنطق بهذا كتبه الاولى: الارواح المتمردة ، عرائس المروج ، الاجنحة المتكسرة ، اذا نحن لم نغفل ما في العواصف ، ودمعة وابتسامة من قصص ايضاً. ولكنه عندما ازداد اوار انطوائيته المضطربة القلقة المتامّلة جنح الى الحوار والقصص الرمزيين متخذاً الاشخاص والموضوعات والحركة الحوارية والقصصية رموزاً لافكاره ومشاعره: وكلها من صميم معاناته للوجود ومشكلاته الفلسفي الديني منها ، او الاجتماعي الاخلاقي.

ولذلك لا عجب ان نراه بعد «المواكب» الذي لجأ فيه الى اتخاذ شخصين يتحاوران في موضوعات الوجود والمجتمع يجسم بها نوازع عقلية ووجدانية فيه هي الصراع بين السلفية والتمرد ، مؤذناً بهذا شروعه بالانطلاق الانساني في تفكيره وشعوره وادبه ، اقول اذن لا عجب ان نراه يعدل عن هـذا الاسلوب الحواري القصصي الرمزي الى اتخاذ شخصية «المصطفى» في كل من كتابيه «النبي» و «حديقة النبي» يعبر بها في الاطار القصصي الرمزي الذي ظهرت عليه في كل من هذين الكتابين وفي اسلوبها الحواري الانجيلي التعليمي. يعبر بها اذن عن افكاره ومشاعره المتأرجح معها بين الشك والمحبة ، والتي يريد لها ثقة الفلسفة المشرعة ، او عدوله ايضاً في «آلهة الارض» الى اتخاذ ثلاثة اصوات يصور فيها آلام شكه وملاذه.

وبهذا اذن نرى كيف كان للرمزية عند جبران خليل جبران الى جانب تلك التصوفية المسيحية القلقة هذه الانماط من الاسلوب الرمزي الحواري القصصي التي دعمها خياله المصور الخلاق في تعبيرها عما هضمته هذه التصوفية من معان ووجدانات انسانية.

ومعروف لدى المحققين ان هذا الجموح الفني الادبي الى آفاق الانساني المجرد من الافكار والمشاعر يوجد في نفس صاحبه ، في تعبيره عن حيواته المختلفة حالة هي اشبه ما تكون بحالة الجذب او التلاشي تتركه اذناً مصغية تتلقف ما يلقى اليها ، ويداً امينة ترقم ما تسكبه اليها دفقاتها الخالقة من معان: يصبح مجرد الافصاح معها هو المرجو ، والذي غالباً ما تضيع معه على افق ضرورة التعبير هذه كل خصوصية للتمذهب الفني الادبي التي لمدرسة من المدارس.

وهذه الاعتبارات نفسها تفسر ما يطالعك به جبران خليل جبران في كل من ادبه ورسمه من فنية تجمع الى خصائص الرمزية الغنائية خصائص الواقعية التقريرية. وذلك ان ما كان لجبران خليل جبران من خصوصية في تجربته الوجودية الفنية المتميزة حقاً بافكارها ومشاعرها بين الفلسفي الديني منها ، والاجتماعي الاخلاقي ، هذه الخصوصية اذن هي التي كانت تملي عليه ما قد قدمه من ادب او رسم كانت هذه الخصائص الفنية الادبية الجامعة بين النقيضين الرمزي الغنائي والواقعي التقريري صورة ضرورية تتطلبها طبيعة هذه التعبيرات الجبرانية الخاصة ، بين بطانة هذه افكارها ومشاعرها ، واساليب حوارية وقصصية وروائية تلكم موضوعاتها واشخاصها.

دمشق — عدنان الذهبي

العقم

مهداة لصديق بالروح
يوسف الشاروني

✡

لبلند الحيدري

✡

بغداد

نفس الطريق
نفس البيوت ، يشدها جهد عميق
نفس السكوت
كنا نقول غداً يموت ... وتستفيق
من كل دار
اصوات اطفال صغار
يتدحرجون مع النهار على الطريق
ويسخرون بامسنا ، بنسائنا المتأففات
بعيوننا المتجمدات ، بلا بريق
لن يفهموا ما الذكريات
لن يعرفوا الدرب العتيق
وسيضحكون لانهم لا يسألون
لِمَ يضحكون ..
كنا نقول غداً سندرك ما نقول
ولسوف تجمعنا الفصول .. هنا صديق
وهناك انسان خجول
بالامس كان هوى عميق
ولعلنا لم نعنِ ما كنا نقول
فاليوم تجمعنا الفصول
ذاك الصديق بلا صديق
ذاك الهوى وجه صفيق
وعلى الطريق ،
نفس انطريق
نفس البيوت يشدها جهد عميق
وهناك خلف النافذات المغلقات
كانت عيون غائرات
جمدت لتنتظر الصغار
وتخاف ان يمضي النهار

اصدقاء المصلحة

قصة

بقلم نجاتي صدقي

في ليلة من ليالي الشتاء القارس حيث كانت الرياح تولول وتزأر، والسماء تذرف الدمع المدرار، والبرد يقرع الابواب والنوافذ، والبرق يشق السماء باشكال هندسية عجيبة، والرعد يقصف بشدة، والكلاب تعوي عواء طويلا، والهررة تموء وتعربد، وصفارات الحراس تصل الى الاسماع بين حين وآخر، في ليلة كهذه عقدنا سهرة حول الموقد، فاكهة الشتاء، وقد ترأس هذه السهرة جارنا السيد حاتم، وهو رجل عركته الحياة وعركها، وذاق حلوها ومرها، واختبر ظاهرها وباطنها، وسبر غور افضل الناس وارذلهم، وخالط العلماء والجهال، وعاشر المثقفين والاميين، واحتك بالادباء ومدعي الادب، فاقتبس خبرة لا تكتسب بالمطالعة، ولا تشترى بالاصفر الرنان، فاغتنم الحضور فرصة وجوده بينهم ورجوه ان يروي لهم قصة تنسيهم ليل الشتاء الطويل، والسهرة الشتوية لا تكون كاملة الا اذا قدمت فيها قصة شهية.

قال السيد حاتم : في اي موضوع تريدون القصة ؟..

قال احدهم : في الحب. وقال الثاني: في المغامرات. وقال الثالث: في الانتقام. وقال الرابع: في الصداقة

فاجاب السيد حاتم: لقد اخترت لكم قصة في الصداقة فاستمعوا اليها:

كنت في ما مضى من الايام موظفاً كبيراً في رئاسة تحرير مجلة الدولة، وكانت وظيفتي هذه، او طبيعة عملي على الاصح، تسمح لي بان اقدم المعونة الادبية لكثير من حملة الاقلام، فالبارز منهم استكتبه، والمتوسط اشجعه، والناشىء ارشده كيف يكتب وماذا يكتب، فلم تمض سنوات قلائل الا وقد اصبح لي عدد لا يستهان به من الاصدقاء موزعين في مختلف اقطار العروبة يقدمون لي كتبهم ودواوينهم، ويهدونني بعض نتاجهم الادبي، ويغمرونني بالرسائل اذا ما اصدرت كتاباً او نشرت قصة، وكنت اشعر بسعادة عظمى لهذه الصلات الادبية التي تصلني واخواني الادباء بقطع النظر عن ميولهم واهوائهم.

وقد تطورت هذه الصلات بيني وبين بعض الادباء فتحولت الى صداقة راسخة الاركان، وكان احدهم، وهو شاعر، يكتب لي على هذا النحو :

أخي الحبيب .. اقسم لك بشرفي الادبي بانني اذا تركتك شعرت بفراغ في نفسي، وهزة في اعصابي، وهبوط في نبضات قلبي !.. الخ.. واسلم لاخيك الذي لا ينساك ».

وكان غيره يكتب لي على الطريقة التالية :

« أخي في الروح .. كثيراً ما كنت انهض من نومي ليلا وافكر ملياً في موضوع صداقتنا.. افكر كيف يمكن لصديق ان يرتبط بصديقه عن طريق المراسلة فقط .. ولكنني كنت في نهاية الامر اهتدي الى الجواب وهو : الرسالة الادبية، اجل يا اخي هو الادب الحي الذي جمعنا في صعيد واحد الخ ..»

وكان ثالث يكتب لي بهذا الاسلوب :

« صديقي الاعز ... ان قلمي لعاجز عن التعبير عما اكنه لك من حب اخوي وصداقة اكيدة .. قرأت بحثك في قاسم امين وقد اهتمت له الاوساط النسوية عندنا، فاستمر في جهادك من اجل حرية المرأة. ارجو ان تشرفنا اذا ما حضرت الى العاصمة الخ .. »

وكان رابع يكتب لي هكذا :

« استاذي ... كان لعبارتك التي تفوهت بها في حفلة وداعك اثرها في النفوس، لقد قلت وقتئذ : ان في مدينتكم تيارين يذهبان هدراً، تيار الناس المتعطلين الذي يصب في بحر البؤس والجهالة ولا يعرف احد كيف يستفيد من جهودهم الانتاجية، وتيار نهركم الذي يصب في المحيط في حين ان المزارعين لا يعرفون كيف يستفيدون منه على الوجه الاكمل ..

اتذكر ليالي السمر حتى السحر ؟.. اتذكر كيف كنا نقضي النهار بالمتاعب والليل بالملاعب ؟.. »

هذه نماذج من رسائل بعض الاصدقاء الذين كنت استكتبهم المقالات، وهناك غيرهم ممن افدتهم شخصياً اما بالحصول على مورد شهري، واما بالحصول على عمل

انت

الى الشاعر البير أديب

❖

انت ما انت افترار الشهب ، ام نفح الرخي
ام تغني الثمل الفتان في كل خلي
ام شذا افلت من فردوس حلم ابدي
ام دمى تزجي بها الام الى لهو الصبي
يلقف الفتنة من فيها ، ويحسو كل ري
انت شيء لست ادريه سوى شيء خفي
مثل لون الحس ، او ارعاش تسبيح النبي
مثل ، لا لا ، انت فوق المثل في الغيب النئي
في ضلوع الذهل من وجدي وفي هتف القصي
في النقا ، في المذب ، في الرقة من كل شهي
في سطور الحب ترويها صبابات الأسي
في التلال الشهل ، في يقظة سحر العبقري !!

احمد ابو سعد

ثابت ، وماذا كانت النتيجة ؟..

كانت النتيجة ان خطا الدهر خطوته، وعدت الى عالم الحرية الذاتية فوليت وجهي شطر اصدقائي المنتشرين في عالم العروبة، وظننت انهم سيتهافتون على اداء بعض ما عليهم من دين واذا بهم اصنام لا حياة فيهم !..

لقد تبخر كل شيء : فليس هناك من اخوة ، او حب ، او اعجاب ، او صداقة ، ار رسالات ادبية ، وانما هناك غريزة المصلحة ، مصلحة القرش والرغيف .

يقولون ان الانسان هو اسمى المخلوقات، فهذا الكلام صحيح اذا ما نظرنا للانسان من حيث تكوينه الجسماني، ولكن هذا الكلام لا ينطبق على الانسان بجذافيره من حيث روحه وسلوكه .

زعموا ان ارنباً كان يحب عمل الخير مع جميع الحيوانات ، ويظن ان كل من هم حوله من ذوات الاربع ، او فوقه من ذوات الاجنحة هم من اعز اصدقائه واحبائه ، الى ان جاء يوم وقع فيه في مأزق حرج ، فهناك الصياد يحاوره ويطارده ، فهرع الارنب الى صديقه النسناس وقال له: العون ايها الصديق الصدوق.. فاعتذر النسناس مدعياً انه منهمك في استقبال ضيوفه، ثم توجه الى غيره وغيره من الاصدقاء فكانوا كلهم ينتحلون المعاذير ، واذ تفاقمت الحالة رآه بعض ابناء جنسه ، وكان لا يعرفهم بتاتاً ، فاقبلوا على مناصرته ، وصاروا يلهون الصياد بالقفز هنا وهناك الى ان تيسر للارنب سبيل الخلاص .

وبعد ان صاروا في مأمن من الصياد شرع الارنب يقص عليهم قصته مع اصدقائه الكثيرين ، فابدوا استغرابهم واستهجانهم ، وقالوا له بلسان واحد : أأنت بحاجة الى كل هؤلاء الاصدقاء ؟.. ان صديقاً نبيلا واحداً يكفيك !..

ولما أنهى السيد حاتم قصته هذه كانت النار قد استحالت الى رماد ، وكان الحضور ينصتون اليه بانتباه زائد وهم يشعرون بحرارة تدب في نفوسهم أشد اثراً من حرارة النار !..

نجاتي صدقي

شخصيات دستويفسكية : رجل العالم السفلي

بقلم نهاد التكرلي

❖

« اني مريض*، تلازمني السويداء ولا اثير الا الاشمئزاز اظن ان شيئاً ما قد اصاب كبدي لاني لا اقوى حتى على التفكير لشدة آلام رأسي. ومع ذلك فاني لا اعرف ماهية دائي. لا استطيع ان اتناول شيئاً من الدواء بل لم استطع ذلك ابداً، بالرغم من اني اكن للدواء والاطباء احتراماً كبيراً. واني الى ذلك مؤمن بالخرافة الى اقصى حد، ولعل هذا هو سبب إعزازي واجلالي لمهنة الطب. اني على حظ وفير من الثقافة والتربية، وكان من الواجب ان اتعالى عن مثل هذه الخيالات، الا اني مع ذلك مشبع بها الى اعمق اعماقي. »

ذلك هو رجل العالم السفلي الذي يقدمه لنا دستويفسكي، قابعاً في حجرته المعتمة التي تثير الغثيان وهو يعيش وحيداً لا صديق له. انه يحس كآبته وسوء مزاجه لكنه لا يشعر برغبة حقيقية في التخلص من حالته هذه. انه دنيء لكنه يشعر بلذة خفية من هذه الدناءة، وهو يطهى في عصير من الندم المرح أحقاداً مستهزئة ومخاوف هائلة. وها هو الآن وقد بلغ الاربعين من عمره، يلذ له ان يعود الى كنه « في احدى الليالي الفظيعة التي يقضيها في سنت بطرسبرج » ليحلم بجميع القذارات التي ارتكبها وجميع انواع المذلة التي عاناها في النهار. انه يستشعر متعة غريبة في ان يردد لنفسه بانه هبط الى آخر درجات الحقارة وانه لن يصبح ابداً رجلا مثل الآخرين. اجل انه شيء مخصوص الى آخر حد. شيء غير اعتيادي بصورة كاملة. انه بجانب الجماعة، بل هو خارج عن الجماعة، متفرد على هامش الخليقة.

ومن عزلته هذه نراه يرقب الناس ويتأمل رجال الافعال او، الرجال المباشرين كما يسميهم. وهؤلاء الناس ذوو الاعصاب الصلبة مجردون في نظره من كل تفكير. فهو يقول بان رؤوسهم لا بد وان تكون فارغة جوفاء لكي يقدروا على الفعل. ان من يفكر لا يسعه الا ان يبقى ساكناً لا يبدي حراكاً، لان الفكرة تقرض ـ كالحامض ـ الزينة المصطنعة التي لا بد للفعل ان يترصع في اطارها. والفعل في جوهره اخفاق للروح، لان الفعل يفترض قوانين توجهه وتأخذ بيده، وهو لا يكون ممكناً الا في عالم منظم بعناية فائقة. ورجل العالم السفلي يتمرد من محرابه الارضي على العالم الخارجي وعلى المجتمع والافكار العلمية وعلى جميع الاحكام الانسانية وبخاصة البديهية الرياضية: اثنين في اثنين تساوي اربعة. فالعلوم الوضعية قد بوبت اختباراتها واقامت حقائق مقررة ثابتة وبنت اسواراً حجرية تحدد الافق. والناس الذين يضع بطل دستويفسكي نفسه ازاءهم يحنون هاماتهم امام هذه الاسوار الحجرية وينظرون اليها باجلال واحترام. غير ان هؤلاء الناس ـ وهم ليسوا في نظره سوى قطيع من البلهاء ـ لا يدركون بان العلم أقام لهم سجناً داخل ميدان لا حد لسعته. انهم لا يفكرون الا انهم في طمأنينتهم التافهة الحاضرة ولا يلتفتون الا لمصلحتهم الصغيرة الشأن التي صانها لهم العلم على هذا الشكل. فهم يفركون ايديهم مبتهجين لانهم ناعمون بالدفء، واذا راق لفيلسوف او انسان من العالم السفلي ان ينكر هذا الجدار الذي يعتزون به تعجبوا منه قائلين: «ويحك! انك لا تستطيع ان تنقض هذا الذي نقرره، بل من المستحيل ان تتمرد عليه. ان اثنين في اثنين تساوي اربعة وهذا قانون طبيعي. والطبيعة لا تسألك الرأي في

---

* مصادر البحث «Dostoïevsky» Par Henri Troyat
وقصة دستويفسكي
رسائل من العالم السفلي « Letters from the underworld »

هذا. انها لا تشغل نفسها برغباتك عن هذا الموضوع ولا تهتم فيما لو كنت توافق على قوانينها ام لا. فمن الواجب عليك ان تتقبلها كما هي وتتقبل معها نتائجها. والجدار يبقى جداراً »

غير ان رجل العالم السفلي ـ او بالاحرى دستويفسكي نفسه ـ يجيب بهذه العبارة المدهشة :

« لكنني ماذا يجب ان افعل بقوانين الطبيعة والرياضيات ، اذا كانت هذه القوانين وقاعدة اثنين في اثنين تساوي اربعة لا تروق لي ؟ اني بالطبع لن اهدم هذا الجدار برأسي الا اذا كنت املك القدرة الكافية على ذلك. لكنني لن اقبل به مع ذلك لمجرد انه جدار حجري ثابت واني لا اقوى على هدمه» وهكذا نجد ان بطل دستويفسكي ينكر جميع المنشآت المصطنعة ويضعضع جميع البديهيات ويمر عبر القوانين العلمية . فهو يفكر ويدرك ما وراء حدود العدد والمادة ويعيش في المستحيل. وهو يعتقد بان الله نفسه يطلب المستحيل من مخلوقه، والا فأي معبود يكون لو كان يسمح للانسان بان يحبس نفسه في هذه الغرفة الضيقة وينام في الرخاء الحالي ، او كان يسمح للانسان بان يتضاءل وينسى هذه الشعلة المقدسة التي تسمى الفكر ليصبح آلة تسير بصورة مضبوطة. لذلك يقول دستويفسكي : « يبدو لي ان قضية الانسان كلها تتلخص في امر واحد هو ان يبرهن الانسان لنفسه بانه انسان وليس مجموعة مركبة من الآلات »

وهذا الذي قلناه عن العالم الطبيعي ينطبق على العالم الاخلاقي ايضاً ، فالمبادىء الاخلاقية تحبس الكائنات كالمبادىء الطبيعية سواء بسواء. ولذلك فان اجتياز هذه المبادىء الراكدة معناه بلوغ الحقيقة العليا ، واذا ما كسر الاطار الاخلاقي مرة فلن يعود للخير او الشر وجود كما ان تجاوز القوانين العلمية يقود الى الخواء او العماء. والى مثل هذا الخواء يدعونا رجل العالم السفلي انه في هذا الخواء يحس بحريته الكاملة وهو يفضل هذه الحرية على دعته ورفاهيته ولذلك نراه يقول: «ان الانسان لا يحتاج الا الى ارادة مستقلة مهما كلفه ذلك من الثمن وانما قادته هذه الارادة... اني مقتنع بان الانسان لن يقلع عن الألم الحقيقي ابداً، اعني عن الخراب والخواء.»

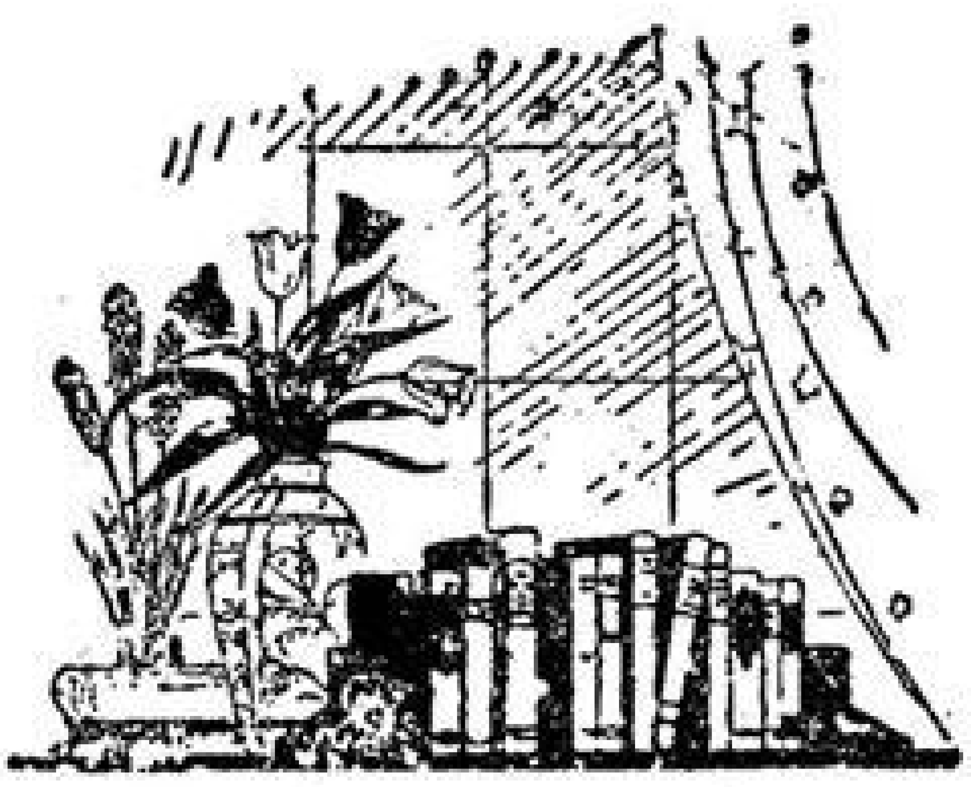
فبفضل الألم يقترب الانسان مما لا يمكن ادراكه ومما لا يمكن الوصول اليه : من المعجزة. وبفضل الألم يرتفع الانسان الى ما وراء نفسه .

... فنيتشه قد توصل الى الانسان الاعلى . غير ان انسانه الاعلى قد ابتلع الانسان الحاضر، لان نيتشه يعتقد بان التطور نحو الانسان الاعلى يقضي بان نقتل في الانسان كل ما هو انساني فالانسان الاعلى ليس انساناً متطوراً فحسب، بل هو لم يبق فيه من اصله الارضي شيء. اما دستويفسكي فالامر عنده على العكس من ذلك ، اي ان الجوهر الانساني في نظره يتناغم مع الجوهر الالهي. فلا الله يذيب مخلوقه ولا الانسان يفنى في الله ، بل الله موجود والانسان موجود .

لا شك ان قصة «رجل العالم السفلي» مفتاح لجميع مؤلفات دستويفسكي التي اعقبتها . ففي طيات هذا الكتاب تكمن جميع اعترافات دستويفسكي الباطنية وانجذاباته الروحية المستمرة . لقد كان هذا العبقري مصاباً بالصرع ، وليس يبعيد انه ارتفع مرة في بعض نوبات الصرع التي كانت تصيبه الى ذروة الجدار الذي يحدنا وعانق بنظره تلك الفسحة اللانهائية الممنوعة . لقد كان دستويفسكي كما نعلم يسقط من نوبته مذهولا يذوب قلبه حسرات على تلك الرؤى العجيبة التي ابصرها . لكنه قد رأى! اجل قد رأى وهو يعترف لنا على لسان (رجل العالم السفلي) بما رآه . وعلى هذا الاساس تعتبر قصته هذه مفتاحاً لرواياته التالية ، لان دستويفسكي سيكون في جميع ما كتبه بعد هذه القصة ممزقاً بين الفكرة الطبيعية وفكرة ما فوق الطبيعة لادراك هذا العالم . وسيبقى معلقاً بين الارض والسماء ، تجذبه الارض وتلح عليه السماء ، وهو حائر لا يدري هل يختار عالم السببية او عالم « اثنين في اثنين تساوي ثلاثة » . فيحاول الموازنة قليلا او كثيراً بين هذين الصرحين . ولذلك نجد ان شخصياته الروائية قلقة مجنونة تضطرب في عالم غريب غير مألوف لدينا وتندفع فيه محمولة بعاصفة لا تقاوم. وهي في عالمها المخيف هذا لا تعرف الراحة او الطمأنينة لانها مضطربة دائماً تتساءل عن معنى الحياة وتتحمل عبء مشاكل هائلة تدفعها في الغالب نحو الجريمة او الجنون او الانتحار .

ومأساة هذه الشخصيات الدستويفسكية ليست ممكنة في نظر القوانين العلمية، لانها لا يمكن ادراكها الا خارج هذه القوانين، والا في انفسنا . فالرجال والنساء الذين يخلقهم دستويفسكي ليسوا حقيقيين حقيقة اولى بل ان حقيقتهم حقيقة ثانية. فحالتهم هذه هي حالتنا نحن، لو لم تؤثر فينا القواعد الاخلاقية والموانع الطبيعية والعادة . انهم مخلوقات مثلك ومثلي ، لكنهم صوروا قبل الفعل وقبل الكلمة . وما يفعلونه كان من الممكن ان نفعله

الاديب



لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير (كانون الثاني)

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسوريا : ١٢ ليرة

في الخارج : ١٥٠ قرشا مصريا او ٦ دولارات ونصف

في الولايات المتحدة ١٠ دولارات في الارجنتين ١٠٠ ريال

اشتراك الانصار :

في لبنان وسوريا : ١٢٠ ليرة كحد اعلى

في الخارج : ١٤ جنيها مصريا او استرلينيا

او ٦٠ دولار كحد اعلى

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

ادارة الاديب : باب ادريس ، شارع الكبوشية

تليفون	الادارة : ٤٧ ـ ٩٢	Direct. : 92 - 47	Tél.
	المنزل : ٣٧ ـ ٤٨	Dcle : 48 - 37	

صاحب المجلة ورئيس تحريرها : **البير أديب**

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ـ لبنان

نحن لو لم ... وما يقولونه كان من الممكن ان نقوله نحن لو لم..

فكل ما فعله دستويفسكي هو انه حذف (لو) هذه وانكر الشرط وجعل ابطاله يتصرفون ويتكلمون كما يتصرف الناس ويتكلمون في افكارهم فقط . فشخصياته افكار تتحرك في اطار من المادة . وان رجل العالم السفلي وراسكولنيكوف وستافروجين وكيريلوف وشاتوف وفرخوفنسكي وايفان كارامازوف ، كل هؤلاء ليسوا سوى مخلوقات تلهبها فكرة معينة. انهم يحترقون بهذه الفكرة ولاجلها، فتراهم لا يكترثون لمسائل الراحة والمال والمركز الاجتماعي ويستهزئون بكل ما هو موجود تحت اقدامهم وبين ايديهم وتحت اسنانهم واعينهم. انهم يجهلون حدود الواقع والحلم ويعبرون من الواحد الى الآخر وبذلك يوسعون العالم الى اقصى حد .

ولهذا فان من الخطل ان يدعي أحد ـ كما يفعل البعض ـ بان شخصيات دستويفسكي في جوهرها روسية خالصة ، وان مغامراتها لا يمكن ان تفهم في بلاد غير روسيا . اذ لا يمكن ان نكون من السذاجة بحيث نعتقد ان روسيا لم تكن مأهولة في القرن التاسع عشر الا بافراد مصابين بالهستريا والسل والصرع ، او نتصور اننا نتعرف على الشعب الروسي في روايات دستويفسكي. ان رد الفعل الذي احدثته هذه الروايات في القراء والنقاد الروس في ذلك الحين كان على عكس هذا التصور ، لانهم كانوا مجمعين على ان « هؤلاء الناس ليسوا من موطننا » . وقد كتب الكونت كوشليف بربورودكو عن احدى هذه الشخصيات الروائية قائلا انها « يمكن ان توجد في بلد آخر كفرنسا او انكلتره او بلجيكا اكثر مما يمكن ان توجد في روسيا . »

لا شك في ان حب الافكار العظيمة والحماس العقلي والانقلابات الخلقية ، كل هذه من الصفات المميزة للطبيعة السلافية . ولا نكران بأن « الحقيقة الثانية » لدى السلافيين اقل تعمقاً في الكمون مما لدى الشعوب اللاتينية او السكسونية، لكن الفرق هنا ليس في « الطبيعة » بل في « المستوى » ولذلك فمخلوقات دستويفسكي ليست روسية بالمعنى الدقيق، لان المشاكل التي تسيطر عليها مشاكل عالمية والافكار التي تمثلها هذه المخلوقات افكار تتجاوز نطاق الادب القومي . انها تفصح عن قلق العالم في وجه الخلق لا قلق الرجل الروسي. وان رجل العالم السفلي ليتجاوز التخوم ويوحد بين الاقطار بشبكة خفية واسعة.

بعقوبة ـ العراق — نهاد التكرلي

بالمزاد العلني

من صور الواقع

بقلم الآنسة سميرة عزام

لقد كان امراً جلياً سافراً ان اسف « ام شمعون » واعتذارها عن وجود غرفة خالية لديها تؤجرها لي ، لم يتأت الا بعد ان فهمت انني مدرس فلسطيني طوحت بي ظروف الكارثة مع زملاء لي الى بغداد نزاول في معاهدها وظائف تدريسية، فكان من الطبيعي – وقد نزحت اليها وحيدا خالياً الا من كمية من الثياب وصور دامية تشغل مخيلتي وتلاحق فراري – ان اسعى في سبيل ايجاد غرفة مؤقتة اجد لنفسي بين جدرانها الاربعة مستقراً . فقصدت « ام شمعون » بصحبة صديق افهمني انني لن اجد ضالتي وبالاجر الذي يتحمله جيبي الا في غرفة من الغرف التي يعدها سكان حي اليهود للطلبة والغرباء لقاء مبلغ معين .

وكنت وصديقي متأكدين من خلو احدى غرف « بنسيون » ام شمعون هذه ، ولكن كوني فلسطينياً يحمل لهم في نفسه شعوراً معروفاً جعلها تتوجس مني شراً وترتاب في نواياي ... فتقسم « بغأسها » اي برأسها – فلفظ « الراء » صحيحة المخرج امر تعجز عنه ألسنة يهود العراق ... ان ابنها قد وعد بالغرفة صديقاً سيشغلها في غضون اسبوع .

ولم نشأ ان نستمع الى المزيد من نفاقها فادرنا لها ظهرينا وانا العن في سري ظروفاً اضطرتني الى التماس السكن عندها .

لم تكن الغرفة التي انتهى بي الامر الى استئجارها بعيدة عن تلك المرأة، فشغلتها على مضض وقسمت وقتي بين عملي ومعارفي القليلين فلم اجد في اقامتي في الحي ثمة متاعب غير انني كنت في عجب من امر هؤلاء اليهود الذين كانوا كلما صادفوني عائداً الى غرفتي ليلا او خارجاً منها صباحاً تواروا عن ناظري في اقرب منعطف ، او التزموا جانب الطريق وكانهم كانوا يخالونني احمل لهم في جيبي قنبلة .. او ابيت لهم غدراً ... كان مسلكهم السخيف مبعث تسلية لي .. غير ان رؤيتي لهم وهم على خوف وجزع بالغين كانت توهمني احياناً ان في شكلي حقيقة ما يبعث على الرعب ويوحي بالتوجس ولكن نظرة متفحصة الى المرآة المكسورة الحافة والمثبتة على جدار غرفتي تعكس لعيني قسمات وجهي الوديعة المنكسرة كانت ترد الي اعتقادي في نفسي .. وتلح علي انا بوجوب اتخاذ اسباب الحيطة والحذر ..!!

وسلخت من الزمن حولا كاملا وانا مقيم في غرفتي لا يملك جيبي حق الانتقال .. وظل القوم على حذرهم مني ينظرون الي نظرة المتوجس المرتاب فلا يكادون يسمعون دبيب اقدامي في الدرب حتى تسري فيه الهمسات مسرى البرق فتتسرب النسوة اللاتي كن ينصبن حلقات الثرثرة امام المنازل الى بطون بيوتهن .. وتهدأ حركة الصبيان اللاهين وكأن كل تلك الشهور الطويلة لم تكن بكافية لغرس الاطمئنان في نفوسهم فيأمنوا جانب هذا «الفلسطيني» كما كانوا يسمونني وثقتهم بانني مسكين يلاحقه شبح النكبة .

قصة

وكان امراً غريباً حين لازمت غرفتي في ليلة شتاء قرة ورحت اقتل ساعاتي بالقراءة ان اسمع طرقاً خفيفاً

على بابي ، فسارعت الى الباب افتحه لاجد شمعون وامه وقد انتصبا امامي يرجوانني ان اسمح لهما من وقتي بدقائق قليلة .

ودعوتهما للدخول وانا دهش لهذه الزيارة الغير المتوقعة فدخلا وقدما يديهما مصافحين ثم راحا يسألانني عن صحتي وعما اذا كنت مرتاحاً لاقامتي بينهم . هذا وانا اود لو اعفياني من هذه العبارات المنمقة لأتوصل الى السر الذي دفعهما الى تشريفي بزيارة لم يكن من المعقول ان تكون دوافعها فقط هي مجرد السؤال عن صحتي العزيزة ومزاجي الغالي ...

واراحتني الام من هذا اللغو حين تطرقت الى الغاية وهي ان شمعون ينوي ان يبعث الى احدى الشركات الاجنبية في بغداد بكتاب ارتأى ان يكلفني بكتابته بالانجليزية اذ استطاع التكهن بكوني رجلا متمكناً من هذه اللغة ... وكيف لا اكون وقد شاهدني مراراً اتأبط كتباً سميكة ذات عناوين افرنجية ؟ ؟

ولم اشأ ان اصدم شمعون في صواب استنتاجه ... فكتبت الكتاب على عجل ودفعت به اليهما بيد وفتحت الباب بالاخرى لاوفر على نفسي سماع سيل من عبارات الاطراء الرخيص !

وطرق شمعون بابي بعد اسبوعين من تاريخ زيارته الاولى وكان في هذه المره مصحوباً بشقيقته !... راجياً اياي ان اقرأ له رد الشركة على الكتاب ففعلت وانتظرت منهما ان يغادراني لا يلويان على شيء ... ولكن شمعون لم يشأ ان يحرمني من ظرفه ولطف شقيقته بعد ان اطمأن الى كوني رجلا مسالماً ... فاستأذن بالجلوس مع شقيقته ، ثم راح يثرثر ويتحدث في كل ما يعن له من افكار سخيفة ليتوصل الى نقطة خاصة فهمت انه يحوم حولها ... وهي انه رغم كونه يهودياً الا انه ليس من المؤمنين بفكرة الصهيونية ... وان له في الجهاد تاريخاً مجيداً ... ذلك انه اشترك في مظاهرتين ضدها ... مستهدفاً لزراية زميله حزقيل ..! الذي تسلل بعدئذ الى خارج الحدود العراقية ليلتحق بالقوات الصهيونية في فلسطين ... كما انه عاضد احدى حملات التبرع للنضال العربي بأغبعة دنانيغ ... « اربعة دنانير » دفعها عداً و نقداً ...

ولم يسع شقيقته هنا الا ان تهز رأسها البليد موافقة على كلامه ...

كل هذا وانا صامت برم لا اعلق على عبارة او اتفوه بكلمة الى ان احس بضجري فحياني وانصرف ساحباً شقيقته...

ولم اعد ارى له وجهاً الى ان كان يوم ماج فيه حي اليهود ... وراحت اصواتهم تلعلع بجذل وارتفعت الالحان من حناجرهم وانتصبت حلقات الطرب في بيوتهم وشاعت الغبطة في الوجوه الهزيلة الصفراء ... اذ كان البرلمان العراقي قد اقر قانون اسقاط الجنسية لمن يرغب من يهود العراق والسماح لهم بالهجرة الى الوطن القومي في فلسطين ... استغفر الله اعني اسرائيل ... وكنا نمر من امام دوائر الشرطة في تلك الفترة فنراهم بالعشرات يتسابقون الى التخلي عن جنسية البلد الكريم الذي رتعوا بخيره اجيالا ... ثم ينسلون بهدوء الى بيوتهم ليتبادلوا الآراء همساً عن انجع الوسائل الفنية لبيع الممتلكات المنقولة وغير المنقولة ... ثم تهريب الاموال الى حرز حريز ...

واقيمت في الميادين العامة ببغداد والالوية المزادات واسواق البيع حيث صفت الفرش وقطع الاثاث والسجاد والآنية ينادي عليها الدلالون ... فيتسابق ضعاف النفوس — وهؤلاء لا يخلو منهم بلد — الى الشراء ... والاقتناء ... !

في عصر يوم لا تزال صوره الاليمة واضحة المعالم في مخيلتي كنت اشق لقدمي طريقاً بين زحام احد ميادين العرض ... حين مزق اذني صوت رفيع ينادي :

— استاذ عوني استاذ عوني

والتفت لارى شمعون بوجه الهضيم الهزيل وانفه الاقنى... غائصاً بين قطع الفرش والاثاث يبتسم ابتسامة ثعلبية ويقول موجهاً حديثه الي :

— تفضل يا استاذ واختر ما يروق لك .. فقد لاحظت ان غرفتك تنقصها بعض اشياء .. ولن اتقاضى منك الكثير .. فانت جار طيب .. ثم هل من وصية احملها لك الى فلسطين ؟

ونظرت اليه نظرة حمراء تفيض احتقاراً وزراية .. وودت لو امتدت يدي اليه فدقت عنقه ولكنني كظمت بالغ غيظي وادرت وجهي وانا اغالب دمعة في عيني اوشكت ان تنهمر ورحت اجر قدمي جراً في طريقي الى غرفتي الموحشة مبتعداً عن فئة المتكالبين على سوق المزاودة.. الذي ذكرني بوطن بيع رخيصاً في سوق المطامع ونادى الدلالون على ابنائه في اسواق النخاسة.. فاشتراهم نخاس فظيع .. يسمونه الشقاء .. ووسم جباههم بميسمه الناري.. ولم يدفع فيهم شيئاً.. اما الثمن .. فقد دفعوه هم من اجسادهم .. دماً .. ودموعاً ...

سميرة عزام

رسالتان

من نجوى الى نجوى

اهدي هاتين الرسالتين الى الآنسات فدوى طوقان وسوسن عبدالله وثريا ملحس ونجوى قعوار

بقلم يوسف الشاروني

رسالة من نجوى :

« اريد أن اعرف ، اعرف الكثير عن تفكيرك وعن نفسيتك . اكتب لي وكأنك تكلمني . اي افكار ، اي حديث ، لأني اريد ان أسمع ، اريد ان أفهم ، اريد ان اكون .

لقد عجبت مما في رسالاتك ، كلها صرخة مدوية وحرمان ويأس واقبال . نفس تتضاربها عوامل كثيرة . حانق على الدنيا التي لم تعطك الفرحة ولم تعطك ما تبغي وما تهوى ، وقد حز في نفسي هذا الألم المرير وهذه الشكوى التي ارجو الا تدوم طالما في وجودي ما يمحوها من الوجود .

ما للماضي يردد نغماته الكثيرة في كتاباتك ، انك تشكو مرارته وقلة حلاوته ورغم هذا تعبد ذلك الغموض وهذه الظلمة القاتمة ، لماذا لا تنظر الى المستقبل بثغر باسم حلو ، لعل قبساً من النور يضيء لك تلك الظلمة . انك تخفي عينيك بيديك حتى لا ترى هذا النور ، خائف انت منه فتظلل عينيك حتى لا يبهرك فيطفيء شعلتك المتقدة ناراً . لماذا لا تأخذ هذا القبس من النور فتغذي به شعلتك لتزيد وتتوهج ويعلو لهيبها الى العنان .

هل تراني لست اهلا لك ، هل تراني لم أعد كالصورة المتعلقة في ذهنك ؟ هل تراني كأي فتاة لا هم لها في الحياة غير العبث والتفكير في ذلك الرباط الاجتماعي تعيش وتحيا لاجله . اذن لقد اخطأت التفكير ، ولأول مرة تخطيء في حقي . هل أفرح لأني نلت شخصاً سيكون لي رجلا وبيتاً وانا لم افهمه . ما الداعي اذن لان أعيش ؟ انما سأشبه حيواناً يعيش ليأكل وينسل ، وهذه الحياة زخرف لا روح فيها .

حاولت جاهدة ان أصل الى القمة ، وان اكون معك ، وها انا احاول الى آخر قطرة لاصل اكثر من القمة . وفي لحظة ـ لا أدريها ـ اجد نفسي في قرار سحيق مظلم اتلمس طريقي بين صخور وأشواك وبكاء لأرجع واصعد ثانية الى القمة دون ان يصيبني كلال أو ملال .

اطلب منك السماح هذه المرة ، وارجو واتوسل ان تحاول ان تمد يدك وان تأتي قليلا نحوي وانا اصل .

أنا اعاهدك الا تربط نفسك بي الا اذا وفقت ان اكون شخصاً مهماً في حياتك ، وتشعر انك لا يمكن ان تعيش سعيداً بعيداً عني وان تحس ان نجوى جزء منك ومن نفسك ، واني على استعداد لان أضحي بنفسي وسعادتي اذا فشلت في هذه الحركة لتجد من يحل مكاني وتوفق الى من هي خير مني .

اني أومن بك لدرجة لا تتصورها ، ولو لم أومن بك ما كان بيني وبينك شيء لا تخف او تخش شيئاً فهناك الجهاد للايمان وهناك الجهاد للتضحية وهناك البذل بكل شيء ، فلا يقف الانسان مكتوف اليدين ويطلب الايمان ، ستصل ولا تخش . ربما تحسب ان ارتباطك بي وبالبيت وبالمسئولية سيبعدك كل البعد عما تريد ، وعما تبغي ، كلا اني اشعر معك ، واعرف انك خائف كل الخوف من المستقبل القريب ، خائف مني وان كنت مقبلا علي بكل جوارحك ، ولكن هناك ما يدفعك وهناك ما يمنعك ، وهي نفسك التي انا أجاهد ان اعرفها وافهمها واتمثلها قبل كل شيء لا أطلب المعونة من أحد ،

بل اطلبها منك انت ، ان تساعدني على فهم نفسك بنفسك اذا اردت ان تربط حياتك بي .

لقد فقدت والدتي منذ عامين، ومنذ ذلك الوقت اصبحت اما لخمسة ارعى شئونهم بغير ان اجد صدراً حنوناً حتى التقيت بك، وكان نشاطي الفني من قبل خامداً ومتكلفاً، فاذا بي ارسم فجأة عدة لوحات . وأنا فرحة ، واعتقد ان هذه الخطوة الجريئة لم تكن بلا سبب ، وان كان سببها خفياً عن الناس فلا يدركونه اما انت فتدركه ، ذلك اني استمد قوتي من هذا القبس من النور ، وهو أنت ...

وهذا هو سري. كنت في بادىء الامر خائفة منك ومن المستقبل ومن اشياء كثيرة جديدة في تصرفاتي ، اما الآن... فلك ان تفهم وتدرك ان علاقتنا كانت السبب في انتقالي من مرحلة الى مرحلة ، واني ارجو ان استمر حتى اصل في النهاية الى ما اصبو وأنت بجانبي ، ولكني خائفة اذا تركتني ان اعود كما كنت.

لقد ذكرت انك تود ان تكتب لابي خطابا حتى يكون على علم بما نريد قبل ان تحضر ، انا احبذ هذه الفكرة ، وانا افكر الا داعي لعمل حفلة او غير ذلك من هذه المظاهر ، يكفي ان تطلبني وآخذ «الدبلة» حتى يمكن لنا ان نخرج وندخل دون سماع «كلام فارغ» ، ولا يعلم بذلك الا المقربون منا .

أملي الا تجعلني انتظر رسائلك طويلا لانها ترفه عن نفسي وتطمئن تلك الروح الحزينة الكئيبة التي لا تجد فرحة تبسم لها الا عن طريق رسائلك . ان باب العطف والحنان قد قفل من جميع الجهات الا من جهتك ، وهذه الرسائل لا معنى لها الا ان تقرب المسافة قليلا بيننا ، فلا تهمل ذلك . ارجو لك صحة وعافية، واني في انتظار خطاب طويل جداً ، ولا اسمح لك بالاختصار ابداً لأنه ربما يكون آخر مرة تكتب فيها الي .

كنت اعيش في ظلام من الكتاب الى المدرسة الى اللوحة ، اقرأ كثيراً او قليلا ، وجئت انت فأنرت لي طريقاً واسمعتني قولا حكيما ، وافهمتني ما هي الحياة ، وكيف يجب ان يعيش الانسان وان يشعر وان ينتج وان يستفيد من كل حركة او فعل ، وان يفيد غيره ويفيد الجميع .»

رسالة الى نجوى :

لقد انتهى ما كان بينك وبينه من اتصال ، وتبقت في نفس كل منكما ذكريات أخذت تنزوي في سراديب النفس لتتراكم فوقها احداث الزمن والمجهول . وكان قد اندفع نحوك بكل ما يملك من اخلاص وحب ، وكنت اكتب اليك أخيراً عسى ان تقفي معه في بطولة مخافة ان يفقد ثقته في الانسان، حيث كنت انت بالنسبة له صلته الحقيقية بعالم الواقع والناس، ومدخله الى المجتمع او وسيلته الى تحقيق ذاته في الوجود . وفجأة تخليت عنه وتركته في منتصف الطريق ، ولم يعد بينك وبينه حديث خاص ، ولم يعد بيني وبينك الا هذا الحديث العام القيه اليك كما القيه الى كل انسان .

وكان يدرك ان الرجل منا لا يحقق وجوده الا عن طريق الوظيفة وطريق المرأة . الوظيفة، لا العمل بمعنى الهواية، بل الوظيفة التي تنتظم في نظام معين . والمرأة ، لا المرأة بمعنى الهواية ايضاً ، بل المرأة بمعنى الحب والبيت . وهكذا كان يرى ان المسئولية هي التي تحقق الوجود الانساني كفرد في مجتمع ، والمسئولية تتحدد بالوظيفة والبيت . فكما نحصل على اسم يدل علينا كذلك لا بد ان نحصل على وظيفة وامرأة . فالمرأة تحقيق للرجل والرجل تحقيق للمرأة ، وكلاهما تحقيق للمجتمع الانساني . وكان يدرك ان الحب امكانية ضخمة في نفوسنا البشرية، قد يئدها المجتمع وقد يصدمها، ولكنها تظل في كونها متحفزة للحظة التالية . ولقد علمه عصرنا الذي نعيش فيه ، بقنابله الذرية ، وبوليسه السري ، وصراعه وصخبه ، ان الحصول الميسر الهادىء على المرأة – كما كان يفعل رجل القبيلة وكما لا يزال يفعل الفلاح – لم يعد له وجود في عالم اليوم. لا ولا حتى ذلك الحب الرومانتي الرائع الذي طالما مجده شعراء القرن التاسع عشر . وهكذا كان يدرك ان الحصول على الوظيفة والبيت اللذين يحقق بهما وجوده أصبح يتطلب كفاحاً هائلا ، مثل كفاح «المسيحي» في قصة جون بنيان من أجل الوصول الى مدينته السماوية ، فالمسيحي لا يحقق مسيحيته الا بوصوله الى المدينة السماوية، والانسان لا يحقق انسانيته الا عن طريق الوظيفة والجنس والآخر ، بهذا القدر تختلف العصور الوسطى عن حضارة القرن العشرين .

وهكذا ثبت له رغم نزع الاوهام الرومانتية ، ان المرأة هي أحد طريقين رئيسيين بهما يحقق الرجل ذاته ، فهو بحصوله عليها يحصل بحق على وجوده في المجتمع . وقد اطوف القارات والبحار ، واعاشر النساء والاصدقاء ، ولكن لا

احصل على امرأة فلا أحس انني خرجت عن نطاق ذاتي، لاني لا اتقدم الا بقدر ما اكتسب، على استعداد دائم للتراجع في اللحظة التالية. فاذا ما ارتبطنا بذلك الآخر، اصبحنا وجهاً لوجه امام التزامات حقة ومسئوليات جدية تخرجنا لاول مرة عن نطاقنا الفردي الشاحب الى مجالنا الانساني الخصب.

في ذلك الوقت كان كثير من الناس وكثير من الاسر، ما يزالون يفهمون الزواج، كما يفهمون كل عملية في مجتمعهم هذا، على انه صفقة تجارية قابلة للربح والخسران. وكان هو يدرك ان هذا اللون من الارتباط الاجتماعي لا بد وان يقوم على أسس من الحب، ليس الحب القائم على العاطفة الخالصة واللامعقول حيث تربض أحلام الرومانتيين، بل الحب القائم على الوعي بالواقع وعلى أسس من التفاهم الجسدي والعاطفي والعقلي معاً! وكان لا يجدهم الا متفرقين، لهذا كان مطلبه عسيراً وشاقاً للغاية، رغم أنه لا يطلب كمالا لانه يدرك عدم كماله.

والتقى بك ذات يوم، وادرك ان لك ذوقاً رائعاً في اختيار اثوابك والوانك، وادرك ان لك جسداً جميلا قد تفوقك عنه أخريات ولكنك بلا شك تفوقين الكثيرات، كما أدرك انك شديدة الحياء الى حد يثير الانتباه. وكان هذا هو ما أدركه وهو على بعد خطوات منك. فلما اقترب أدرك اشياء جديدة، عرف ان اسمك نجوى، وعرف ان لك محاولات في الفن والرسم، وسمعك تتحدثين عن ديكنز واوسكار وايلد، وغرق في عينيك العسليتين وشعرك الذهبي. فأخذته النشوة وجاء يسر الي بما رأى وبما يرجو، وحذرته تحذيري التقليدي قائلا: اننا نفرح بكلمة تخرج من فم فتاة، كما نفرح بكلمة تخرج من فم طفل حديث العهد بالكلام، لا لانه يقدم لنا معرفة جديدة بل لانه يلفظ شيئاً لم نكن نتوقع ان يلفظه. وهكذا مضى يخطو...

ومضى يظهر في افقك، وازداد اقترابه منك، فاذا بك تندفعين نحوه، مما اخجله كثيراً ودفعه ان يلقى هو ايضاً بكل حذره جانباً. وكان من قبل قد التقى بنوعين من النساء: نساء يعطينه ما يبغي في يسر وعبث كما يعطين غيره مما يفقده فرحة الحصول الحقة، ونساء يتعلمن درسا من هؤلاء فيتحفظن ويشعرنه في خطواتهن بحذرهن مما يجعله يحس بأن لا وجود لطمأنينة بينه وبينهن. وكاد يجد لهذا الصنف شيئاً من العذر وان لم يجد لديهن كثيراً من الذكاء، حيث ثمة عقيدة منتشرة بينهن ولها اسبابها الحقيقية في مجتمعهن، ذلك ان المرأة طالما هي تتمنع على الرجل زادت رفعتها ووثق من اخلاقياتها، فاذا اندفعت تناوله الشك وفقدها من روحه بمجرد حصوله عليها، وهكذا علمته تجاربه ان يتشاءم اكثر مما يتفاءل، وكان يخشى لذلك ان يبذل جهداً عسيراً حتى تدركي اين يقف هو من هذا الفهم الشائع، حيث هو يصرفه التمنع ويغريه الاندفاع، وحيث يدرك ان الحصول لا يتلوه الا الحصول.

ولم يكن يعلم في ذلك الوقت انك لا تندفعين نحوه فحسب، بل وتهربين كذلك من امر خبيث يدبر لك، فقد كان هنالك قريب يهيئونك للارتباط به، ولا يتريثون الا ريثما هو يتهيأ لذلك. وكان مما يؤهله في نظر أقاربك ما هو عليه من شيء من اليسر والثراء، وكان هذا المظهر الخارجي هو ما يراه الناس فيه، ولكنك - وانت الانسان الذي سيربطونك اليه - كنت تدركين ان مشكلة الزواج شيء ومشكلة المال شيء آخر، واننا يجب الا نحل احدى المشكلتين على حساب الاخرى. وتدركين - كما قلت لصاحبي مرة - انه كم من سيدات تزوجن من اثرياء ولكنهن وجدن انفسهن في اقفاص من ذهب، وأصبح حلمهن حسرة على هذا المظهر واسفاً على علاقة كان يمكن ان يكون فيها بريق الذهب اقل توهجاً وعاطفة الحب اكثر اشتعالا.

وكان صاحبي يدرك ان الحصول ليس هدفاً نصل اليه، بل هو طريق، تلتقيان فيه وتتقدمان به. وكان منهجه ان يحصل منك في كل لحظة على معرفة جديدة وان يعطيك في كل لحظة معرفة جديدة، ان تكتشفا معاً نفسيكما وتطرقا عوالم ما يستطيع الرجل ان يجوسها الا من خلال المرأة وما تستطيع المرأة ان تجوسها الا

من خلال الرجل، وكنت تزدادين اقترابا منه وهو يلقي اليك باعترافه ومشاعره في قالب مظهره الهزل، ويدعك تستشفين مراميه حين تخلين الى نفسك وتعيدين نكاته وتعليقاته على انقطاعك عنه مدة وعلى لون ثوبك وعلى نواحي نشاطك الاخير، وعندما تلامست ايديكما لاول مرة كنتما ترتادان منطقة جديدة حية من مناطق المعرفة البشرية، لم يكن يلمس فيك يد المرأة بل كان يلمس يدك انت، وحين التقت شفا كما لاول مرة لم يكن يقبل شفتي المرأة بل كان يقبل شفتي نجوى.

وكان يراودك شيء من الخوف وانت تندفعين معه من مجهول الى مجهول، وانت تكتشفين الواناً من الخبرة ما تعرفينها من قبل، وهو يلمس جسدك، وهو يتغزل بعينيك، وهو يحدثك عن حاجته اليك، وانت تحاولين الثورة على حياة خامدة رتيبة كنت تعيشينها، وانت تحملين الواناً جديدة من التصرفات الى حياتك، وانت تسرقين الوقت كي تلتقي به، وانت تنتظرينه في مكان ليس به غير عشاق، وانت تجوسين عالماً كان محرماً عليك من قبل. وأحياناً ما كان يراودك شعور مبهم بالخطيئة لانك تحاولين ان تحرري نفسك وتجدي ذاتك وتخشين ان تنفصلي عن هذه الدعائم التي اقاموا عليها حياتك منذ الطفولة فتجدي نفسك في متاهة، ولكنك كنت تنظرين نحوه فتحسين الثقة والطمأنينة، ويتبدد من روحك كل خوف وكل حذر.

وهكذا وجدته يقودك نحو عالم جديد وان خلف ابتسامته العذبة تربض روح معذبة بمثلها ومطالبها، وادركت انه عليك ان تتحركي كثيراً نحوه وان عليه ان ينحني قليلا نحوك، فتزدادي فهماً لمنهجه في الحياة. وكان جميلا ان تصارحيه بذلك وهو يكشف لك عن مثله التي انت جزء منها حيناً والتي يريد ان يشركك فيها حيناً آخر. وقادك نحو جماعة من الاصدقاء والصديقات يحتفون بدخولك بينهم يوماً هنا ويوماً هناك، حيث استرعى انتباهك لاول وهلة ما تتمتع به المرأة من حرية كالرجل، وهو شيء تقبلته في اول الامر في شيء كثير من الحذر، لانك ما تعودت ان تلقي مثل هذه المعاملة في بيئتك، ولأن ذلك كان عكس ما يلقى على مسامعك كل صباح وكل مساء، رغم ما تتمتعين به من ثقافة عالية وسن ناضجة وعمل يتيح لك استقلالا اقتصادياً وحرية في التنقل والاختلاط.

وهكذا وجدت نفسك امام طريقين، وانك تختارين واحداً منها وتعزفين عن الآخر: أحدهما طريق يدبر لك ولا ارادة لك فيه ولا رغبة، يختاره لك جماعة من الرجال واخرى من النساء اللاتي يؤمن بعبوديتهن للرجل ويدافعن عن سيادة أسيادهن، وهم يختارون لك هذا الطريق على أسس من قيمهم كأنما يعدونه لأنفسهم هم، وكان هذا التدبير له اساسان: اولهما انك امرأة فلا يحق لك الاختيار، وليس لك ان ترفضي شيئاً وتقبلي شيئاً، وثانيهما ان من يدفع فيك ثمناً اعلى له الحق في شرائك امة له مدى الحياة. اي انهم كانوا يعدون لك زواجا طبقياً مثالياً، زواج استحال في عصرنا الى بغاء مقنع، كل ما بينها من فرق انه سيدفع ثمنك هنا رجل واحد مرة واحدة، وهو زواج كثيراً ما ادى الى الزنى، بمعنى خيانة احد الطرفين للآخر. اما الطريق الآخر فهو من اختيارك الخالص وهو ثورة صريحة على هؤلاء الذين يسلبونك ارادتك وحريتك، ويختارون لك لون سعادتك طبقاً لمزاجهم، وكان هذا الاختيار يقوم على اساسين: أحدهما انك كائن انساني لك حريتك التامة في ان تحققي كل شخصيتك عن طريق الرجل والمجتمع، وليس لرجل اياً كان ان يلغى شخصك في شخصه الى الابد لتصبحي جزءاً من جهازه واحدى ادواته الكثيرة في الحياة، وثانيهما انك تندفعين نحو علاقة تقوم على أساس من التفاهم والتجاوب. وهكذا وجدت نفسك فجأة احدى هؤلاء النساء المجندات ليدافعن عن حقوقهن وحريتهن في معركة الوجود او العدم.

ولقد وجدته دائم الاصرار على ان تقرأي، قائلا لك ان الرجل ما تميز عن المرأة في تاريخه الطويل بقوته الجسدية فحسب بل وبثقافته ايضاً، وان المرأة وان لم تستطع ان تكون اقوى جسداً من الرجل فهي تستطيع ان تكافئه ثقافة وهذه هي وسيلتها الرئيسية اليوم الى تحرير روحها وجسدها. فأغراك اولا ان تقرأي ما كتب عن المرأة، ثم ان تتوسعي في دراسة الفن الذي تخصصت له، ثم عرض عليك رواية فأخرى، وطالبك أخيراً ان تقرأي الجريدة اليومية قائلا إنك بذلك تشاركين العالم كله وتعيشين بحق في منتصف القرن. وصحبك الى دور المكاتب ودور المتاحف ودور السينما والى دار الاوبرا والى خان الخليلي حيث سرتما ملتصقين في ذلك اليوم البارد الممطر وكان ذلك يوم أحد حيث اقفرت طرق خان الخليلي الا من بضعة دكاكين فيها شاهدتما الواناً من فنون الشرق وزخارف

الأرابيسك التي تمضي في تعدد لانهائي من المرات كأنما تريد ان تضغط الجميع في سوية واحدة .

وذات يوم وانتما جالسان بأحد مشارب القاهرة، اعلن اليك شيئاً خطيراً كنت قد فطنت اليه وان لم يتضح لك على هذا النحو الصريح ، ذلك ان حياتكما فيما بعد قد لا تكون ميسرة كل اليسر ، وان عالم اليوم منقسم متطاحن ، وانه كانسان يتحمل نصيبه من المسئولية يشارك في هذا الصراع مما قد يعرضه لمخاطر او مآزق . وقد اكدت لك هذه الكلمات ما كان يراودك من مخاوف تودين الا يصارح بها ، فزعزعت نهائياً حلمك في بيت مستقر ورجل منتظم يخرج صباحاً ليعود مساء ، يتيح لك ان تنجبي عدداً من الاطفال تفاخرين بهم زميلاتك او جاراتك . وحدثك عن النساء اللاتي يشاركن في هذا الصراع دون ارادتهن ، فيثكلن ويترملن ، وأنك ستفضليهن بوعيك بل وبمشاركتك فيما يجدمن أحداث وخطوب. وقد وجمت لدى سماعك هذه الكلمات ، ولم يكن ليخفى عليه هذا الوجوم ، وما يعتمل في نفسك من صراع ، وأدرك ان عليه ان يخاطر بعلاقتكما في هذه اللحظة ، فاما تتجاوزيها واما ينتهي كل شيء ، ذلك ان الحصول الميسر الهادىء على المرأة التي يريد أمر لا وجود له . وما لبث وجهك أن اشرق ، وما لبثت ان ضغطت على يده ضغطة مفاجئة كلها حنان ملأت جسده بقشعريرة الفرح . وحين مضى يحدثك عن حلمه يوم ترتبطان امام الناس لم يذكر لك شيئاً عن ثوب العرس الابيض الشفاف ، ولا عن زحمة الناس ولا عن جوقات الموسيقى ووصيفات الشرف ، بل كان حلمه ان يكون هنالك بضع اصدقاء قلائل وان تتم المراسيم الرسمية باسرع وقت ما دام التخلص منها عسيراً وان يمضي كل شيء في هدوء وبلا جلبة ، وكان يؤيد ما يقول بنفر من اصدقائنا وصديقاتنا ارتبطوا على هذا النحو وأتيح لك ان تري حياتهم تسير في نجاح . وحين حدثك عن العقود والحلى ، ذكر لك انها رموز لقيود المرأة في التاريخ القديم حيث لا تزال تشبهها شكلا ، وهي في الوقت نفسه رمز للمرأة التي تباع كالسلعة، واذا كان ثمنها في القبائل الاولى هو عدد من رؤوس الاغنام والبهائم فان الثمن في مجتمعنا هو ألوان من العقود والحلى. اذ ذاك ادركت ، وانت جالسة معه في ذلك المشرب الصغير الانيق تحتسيان عصير العنب ، انه قد ابعدك نهائياً عن ذلك التاريخ الطويل التقليدي للمرأة الذي كنت ترتبطين به نفسياً وعقلياً وواقعياً ، وأحسست ان شيئاً يغريك فيه وان هذا الشيء نفسه يخيفك منه ، فهو ينزعك شيئاً فشيئاً بعيداً عن ذلك المثل الاعلى الذي سيطر على تاريخ المرأة أجيالا طوالا : ان تكون جسداً لرجل يحطمها بذراعيه القويتين ويلهبها بانفاسه الحارة وتحيا معه في دعة كحيوان طفيلي . كان يكافح معك من اجل ان تصبحي شخصاً مستقلا له ارادته وحريته، تعملين كما يعمل ، وتكسبين قوتك كما يكسب ، فلا تعود العلاقة بينكما علاقة خادم بمخدومه ، بل علاقة الصديق بصديقه، يزيدها عمقاً هنا ذلك الارتباط في التعاون الاجتماعي وفي الجسد وفي الابناء . والواقع يا نجوى انك كنت تقارنين في هذه اللحظة بين اسلوبين ، اسلوب يعتبرك مجرد جسد ويحتقرك كانسان ، سيهبك ترفاً ودعة وكسلا ويسلبك حريتك ، سيجعل منك طفلا حبيساً مدللا ، وهذه هي الرشوة التي تقبضها الكثيرات ثمناً لعبوديتهن مدى الحياة ، واسلوب آخر سيحملك على ان تجهدي، سيعطيك حريتك ويسلب منك الدعة الخالصة والطمأنينة التي لا تشوبها شائبة ، يريدك ان تقفي وحدك على قدميك وستكسبين بذلك انسانيتك ولكنه سيكلفك جهد التعود ومعاناة الالفة مع كل ما هو جديد وغير مألوف. وكان لا بد ان تختاري ، ففي كل جانب ما يخيفك وما يغريك ، وكنت تودين لو يكون هنالك طريق ثالث فيه تحصلين بيسر على كل ما ترغبين ، ولكنك أدركت ان هذا ليس هو منطق الحياة بل هو حلم به تتعذبين . وفي اللحظة التي شددت على يد صديقي ، اعتقد انك قررت الى اي جانب تنحازين .

وهكذا مضيتما تجوسان طرق القاهرة المزدحمة ، وتزوران معاملها او تنتقلان من مكان الى آخر ، ومن معرفة الى معرفة ، وتلتقيان من حين لآخر بصديق هنا وصديق هناك، يحطم لك تقليداً آخر متوارثاً.ولولا اندفاعك العاطفي نحوه لتعرضت قيمك لازمة عنيفة ، ولكنك كنت تحسين اغراء فيما تسمعين وان كان غريباً عليك ، وكنت تدركين انك يجب ان تحافظي عليه ، وسلوكك هذه السبل هو احدى وسائلك للمحافظة عليه . وكنت تعلمين انه يجهد من أجل الحصول الحقيقي

عليك ، الحصول على روحك وليس على مجرد الجسد ، لانك لا يمكنك ان تكوني في حياته الا احد امرين : اما معيناً واما عقبة ، ولا يمكن ان تكوني مجرد كائن محايد في حياته . فكانت مهمتك ان تطمئنيه وان تشيعي في روحه الغبطة والرضى ، وحين أشار اليك ذات يوم ان كثيرات يستعملن ألواناً من الوسائل لاجتذاب الرجل او كتعويض لنشاط آخر ، كفنون الموسيقى والشعر والرسم ، وانهن بمجرد حصولهن على الرجل تختفي من حياتهن ألوان من النشاط ، حاولت ان تنفي عن نفسك هذه التهمة الخبيثة ، بل ثرت يومها ورأيته يخطىء في حقك خطأ كبيراً لمجرد تعرضه لمثل هـذه الريبة وذلك اللون من المقارنة .

وحين اتى الي في مساء ذلك اليوم فرحا بما تجاوزتما من عقبات ، حذرته مرة اخرى تحذيري التقليدي قائلا : ان المرأة ياصديقي في مجتمعنا تستطيع ، قبل الزواج على الاقل ، ان تكيف نفسها بالرجل الذي سترتبط به ، فهي مؤمنة مع المؤمن ملحدة مع الملحد ، ومع ذلك فقد يتلاءمن مع هذا الوضع الجديد ويصبح عادة لهن . وصدقيني يانجوى اني ماقصدت من وراء ذلك ان احط من قدرك امام صاحبي ، فما اتيح لي ان اراك الا مرة واحدة في زحمة من الاصدقاء ، وما كنت اعلم ان الامر يختلف معك حيث كان امامك طريقان تختارين واحداً منها لانه يلائمك وليس لانك تتلاءمين انت معه ! كل ما هنالك اني اردت ان اقف من صديقي دائماً موقف الجانب الحذر الواعي في حياته ، وان كان هو يراني اقف دائماً موقف المتهكم بل المتشكك من الحياة .

وكان يقف امامكما شبح سفر طويل ولما تمض اسابيع على علاقتكما التي بلغتما فيها الكثير ، لكنه ما حدثني ابداً عن مخاوف له . كان يرى انه يسافر كي يعود ، سيعود كي يلتقي بك من جديد ، وكان يرجو ان تكتشفا معاً ناحية جديدة عن طريق الرسائل ، فقد تحدثتما طويلا وتلامست اجسادكما كثيراً ، لكنه لم يكتب اليك ابداً ولم تكتبي اليه الا قليلا لمقابلة هنا او هناك . ولقد رأيتك معه يوم كنت تودعينه لذلك السفر الطويل ووجهك مشرق وان اغرورقت به دموع ، وكان واضحاً ان الحب اضاف الى جمالك جمالا ، وكنت ما تزالين على كثير من حيائك ، ولكنك اصبحت اكثر جرأة ، كانما تستمدين من حبك ثقة وحياة .

وحين اختفى عنك ادركت كيف اصبح له مكان في حياتك تحسين له فرغاً ووجوداً معاً ، وكيف ان اللحظات التي عشتها الى جانبه كانت جوانب تضيء لك حياتك الرتيبة ، وانك لا تحصلين على رجل فحسب ، بل وتحصلين على هدف وايمان . هكذا مضت رسائلكما تترى واحدة بعد الاخرى تحمل له الشوق والحب ، ولاتفيض بالعاطفة فحسب بل تفيض كذلك بمحاولة مخلصة جاهدة كي تجدي طريقك نهائياً اليه وكي تصلي معه الى مرحلة جديدة من النور . وكان على غير عادته كلما سافر ، انقطع عن كتابة رسائله الي حتى بدأت احس غيرتي منك واخيراً ارسل الي يقول اليس كل النساء ياعزيزي كالاطفال ، وهاهي ذي نجوى تستطيع ان تقدم لي معرفة جديدة وكنت قد نسيت الكلمة التي قلتها له ذات مرة عن النساء والاطفال . فادركت انك تريدين ان تحتلي مكانتك الحقيقية منه ، وكنت تحسين انك لا تكونين الا حين تصبحين جزءاً منه . اما هو فكان يجاهد جهاداً آخر حين خلا الى نفسه وواجهها على انفراد ، كان يريدك ان تنتشري في دمائه ، ان تنتهي هذه الحدود العقلية التي تقوم الان عليها علاقتكما لتستحيل الى عاطفة خالصة فلا يعود يرى فيك شيئاً يرضاه وشيئاً لا يرضاه ، بل يقبلك كلا كاملا لا يتجزأ . وكان يصارحك بما يعتمل في نفسه ، وكنت تصارحينه بما يعتمل في نفسك . وقد ارسلت له ذات يوم تخبرينه ان شخصاً قد تقدم للزواج منك غير قريبك الذي كانوا يعدونك له ، وكيف انك قاومتهم وهددتهم . وكنت فرحة بهذا الانتصار من اجله ومن اجلك مما جعله يحس انك تميزينه الان عن بقية الاخرين ، وان الرجال لم يعودوا امامك سواء تكيفين نفسك بأي واحد منهم ، وقد خضت المعركة بشجاعة ملأتها ثقة فيك وفي نفسه ، حتى آمن اخيراً انك قبلته نهائياً في حياتك وانه حصل نهائياً

عليك في حياته ، وانه يمكن ان يطمئن الى تحقيق ذاته في هذه المنطقة من الوجود .

ولست اعرف كثيراً مما دار بينكما اثناء هذه الغيبة الطويلة ، بل كل ما اعرفه أنه حين آب اخيراً من سفره الطويل ، رأيته مشرق النفس ، متهلل الروح لا يخشى على حياته ان ترتبط بك ، ولا على أهدافه أن تتحطم عند قدميك ، بل واثقاً انك تقودينه نحو حرية في الروح كما قادك نحو مرحلة جديدة من حياتك تحسين بها وتحدثينه عنها في رسائلك وتصبغينها بفرشاتك .

وكان يدرك ان المجتمع ينظر الى هذه المحاولات من وجهة اخرى ، وانه بسبيل خطوة اخرى من خطوات كفاحه في سبيل الحصول على المرأة ، ولكنه كان يتحرك الآن وهو مدرك أنه قد حصل على روحك ، فأصبحت لكما قيم متقاربة ومبادىء متدانية واهداف في الحياة تكاد تكون واحدة ، وبقي عليه وعليك معاً ان تحصلا من المجتمع على ديمومة هذا الحصول واستمراره حتى لا يعترض طريقكما معترض . فجاء يتحرك الآن وهو متكىء عليك واثق فيك مؤمن بك ، مدركاً أنك ستواجهين العاصفة التي طالما توقعتماها وتجتازانها معاً بسلام بعد ان قطعتما هذا الشوط البعيد من الفهم والادراك وكان استقبالك له وعلى شفتيك هذه الكلمات التي ما يزال يرددها على مسامعي كل لحظة حتى مللتها « ستلقى بعض العقبات ، ولكن انت واثق في ، سينتهي كل شيء بسلام » .

ومضيت تقودينه نحو اسرتك ، حيث هشت وبشت له ، ورحبت بمقدمه ، ولاحظ ان هناك جواً من محافظة الطبقة الوسطى يسيطر على الاسرة . ولم تكن كبيرة العدد ، أب ولا ام وأخ واختان وشبح خال أعزب توفي حديثاً كان يحتل غرفة بمنزلكم . وكان واضحاً انك ــ كما تحدثت اليه في رسائلك ــ تقومين بدور الام في حياة هذه الاسرة حيث كنت كبرى الفتيات والابناء ، ولكنه ما استطاع ان يفطن الى شيء خطير من العلاقات التي كونها وضع هذه الاسرة المنطوية على نفسها حيث تشتد العلاقات بين افرادها الى حد يشبه المرض ، فقد كان ثمة حب خفي بينك وبين والد يكاد يقابل حب الكترا لوالدها اجاممنون .

ولقد مضى يجادل اسرتك ، وكانوا يريدون ــ او يتظاهرون ــ بان تتم الصفقة كما يتم شراء ورقة اليانصيب ، فلا مقابلة بينكما ولا تفاهم ، بل عليه ان يعرفك كتلة واحدة ليلة الزواج ، وتصبح الورقة خاسرة او رابحة كما يقدر له ، ولم يكونوا يدركون ان ثقافتك وعملك يتيحان لك علاقة به ، ومع ذلك فقد جادلهم وحاول ان يفهمهم ان هذا اللون من الزواج انما هو زواج تنتهي متعته بانتهاء الايام الاولى منه ، ثم يصبح الاثنان بعد ذلك وجهاً لوجه ، وعليهما ان يقضيا وقتاً طويلا في شيء يشاركان فيه او على كل منهما ان يهرب من الآخر بل لعله ان يخون الآخر . وكان يقصد من وراء اقناعهم بذلك ان يوفر عليك هذه المحاولات المتكررة التي كنت تسرقين فيها الوقت منهم وتختلقين مختلف المعاذير حتى تتمكن من رؤيته مما يكلفك الكثير من راحتك النفسية . ورغم غرابة هذه الآراء على تلك الأسرة المنطوية على نفسها ، فقد استطاع ان يغزوها الى حد ما . فحين ادركت اسرتك انكما تتلاقيان انزعج افرادها انزعاجاً شديداً اول الامر ، الا انهم ما لبثوا ان تقبلوا الوضع حتى لقد سمحوا لكما بذلك تحت بصرهم وسمعهم . وهكذا بدا كأنما الطريق قد تعبد نهائياً لكما .

لكن اسرتك كانت تفكر بعقلية اخرى ، تريد ان تتم الصفقة بأعلى الأثمان ، وتذكروا ما كانوا يدبرونه لك في القديم ، واستيقظوا على هذا الحلم من جديد ، ووجدوا في تقدم صاحبي اليك طمعاً هائلا به يلوحون ، فهم يدركون ان همساً يدور حول رغبة قريبك من الزواج بك ، سواء اردت ام لم تريدي فهذا لا دخل له في الموضوع ، كالمتهم الذي يتبادل القاضي ووكيل النيابة ومحاميه الحديث عن مصيره بغير ان يكون له الحق في الدفاع عن نفسه بنفسه . ولقد سنحت الفرصة الآن لكي يتم المشروع . وهكذا لم يكن ما أبدته اسرتك من ترحيب بصاحبي الا وسيلة للاثارة والتنبيه بأنك توشكين ان تفلتي من قريبك اذا لم يتقدم . وتمت الامور كما كانوا يرجون . فما هي أيام حتى تسمعين انه قد طلبك وانهم قد وافقوا . وما كان أيسر عليهم ان يحنثوا في كل ما وعدوا به صديقي ؟ وما ازعج صديقي شيء من هذا ، فهو يدرك ان ذلك امر طبيعي يصدر عن عقلياتهم وقيمهم واخلاقياتهم فهم يرون انك قطعة من قماش لهم الحق في المساومة عليك ، فاذا لم يعجبه الثمن فلماذا الغضب ؟ عليه ان يقصد متجراً آخر ويساوم من جديد ، والمرأة عندهم بالنسبة للرجل مجرد فخذين ، أي فخذين كلهن سواء ولا شخصية للواحدة عن الاخرى ، وما ايسر ان تكون المرأة

في حياتهم جسداً او مالا ، اما تدينهم فاز هو الا وسيلة تجارية بها يكسب بعض الناس ثقة الناس حتى تتم صفقاتهم . وهكذا جاء دورك انت .

وفي كل معركة نجد الابطال ونجد الضعفاء ، نجد الذين يواجهون الموقف بشجاعة حتى الموت والذين يفرون جبناء منهزمين ، وما يتحدث التاريخ في اكثر الاحايين الا عن الابطال الذين واجهوا الموقف بشجاعة، وقلما يذكر لنا جندياً مجهولا في ركن من اركان الميدان قد ملأ قلبه الرعب ففر هائماً على وجهه مفضلا حياة هي اسوأ من الموت . اما صديقي فكان يقول « ان حبيبتي ستخرج من محنتها جميلة وشجاعة ، ولا يمكن ابداً ان ينهار هذا البناء الشامخ الذي بنيناه بدموعنا وضحكاتنا» . اما نحن فكنا جميعاً نتطلع اليك، نرقب تطور المعركة ، بعضنا يؤمن بك وبحبك واخلاصك ، وبعضنا يشفق ان تقع كارثة لا رد لها .

وكان اعداؤك كثيرين . اولهم اقرب الناس اليك ، هؤلاء الذين كانوا يريدون ان يمارسوا رجولتهم على حسابك ، ولهذا كنت انت بالنسبة لهم شخصاً مهما للغاية ، فمجرد تمردك عليهم يهدد رجولتهم تهديداً خطيراً . مثل جورج سامزا بطل كافكا في اقصوصته الطويلة « التحول » والذي كان يقوم باعالة اسرته المتقاعدة ، ثم استيقظ ذات يوم فاذا به يجد نفسه قد تحول الى دودة، وهنا فقط ، وعلى حساب هذا التحول ظهرت شخصيات افراد الاسرة ، فالوالد المتقاعد خرج للعمل ، والاخت أصبحت مدرسة والام اظهرت نشاطها ، ولهذا كان يجب ان تستيقظي يوماً فتجدي نفسك قد تحولت الى دودة . وكان ثاني اعدائك هو هذا التاريخ الطويل الذي ملأوا به أذنيك منذ الطفولة وبذروه في اعماقك وقيدوك به اليهم ، ذلك انك امرأة لا يحق لك ان تختاري اسلوب حياتك وانك لست الا جزءاً من جهاز الرجل ، اي رجل ، وان التاريخ دائماً كان تاريخ الرجل ، حتى لقد بدا لك في هذه اللحظة الدقيقة من المحنة ان وجود صديقي في حياتك شيء عرض، بل شيء خرافي ، يجب التخلي عنه سريعاً ونهائياً لانه يهدد المبادىء الاساسية التي اصبحت جزءاً لا يتجزأ من وجودك ، والتي خرجت عنها كأنما في غفلة عن نفسك ، وهكذا وجدت مبررات تراجعك حتى لا تقفي من نفسك موقفاً اخلاقياً عسراً. وكان ثالث اعدائك واخطرهم هو هذه العلاقة الخفية بوالدك ، والتي تكشفت بعد وفاة والدتك . وكان صاحبي قد اعطاك من قبل قصة فيها ان البطل ـ وقد طلق والده زوجه ـ عاش في احضان امه ، وارتبطت به في عاطفة شاذة حيث حولت كل شحناتها العاطفية نحوه ، وحرمت عليه كل محاولة للاتصال بالجنس الآخر، فغدا نفوراً محباً لها دون سواها، فلما تزوج اخيراً لم يستطع ان يتصل بزوجه . وقد نبهك صديقي الى هذا الخطر وكتب اليك يقول ، ووالدك هنا مكان الام وانت مكان البطل ، وهذا ما سيحدث لك الآن ، ولكن بما انك المرأة فستصبحين مجرد جسد للذة رجل مدى عام او عامين على اكثر تقدير ، وبعدها تصبحين عدماً ، عدماً تاماً ، وتنصرفين الى ابنائك ـ ان وجدوا ـ تدفنين فيهم نفسك الى الابد .

ذلك انك لم تقاومي طويلا، وتخليت عن هذا النور الذي انبثق في حياتك . لم يكن هناك مجرد رجل يلبي غريزتك بل كان هنالك الى جانب ذلك كائن يحمل لك ادراكاً جديداً لمعنى حياتك ، ويرجو الا يكون مصيرك مصير الآلاف من النساء اللاتي لا عمل لهن غير انجاب الطفال وخدمة الرجل ، وهي الوظيفة التي ما كان يمكن لاسرتك ان ترى شيئاً آخر وراءها ، فقد كان السؤال الهام هنا مع أي رجل ؟ كلما قلت مدارك الانسان وثقافته كلما كان مجال اختياره أعم ومطالبه اشمل، وكلما ارتفع ادراكه وثقافته كلما تحددت سعادته وتحدد اختياره ، وهكذا لم يعد اي رجل يمكن ان يجعل منك أماً سعيداً .

يقول ت . س . اليوت في هزليته « حفلة الكوكتيل » انك قد تتهيأ لاحدى الحفلات وتنزل سلم بيتك وكل ما يتعلق بك منظم يؤيدك في الدور الذي اخترته ، ثم يحدث احياناً ، عند

وصلت الى الدرجة الاخيرة، ان تكون هنالك درجة اخرى لم تتوقعها قدماك، فتضطرب، بل ان صديقي قد انزعج هذه المرة انزعاجاً حقيقياً، فبعد لقاءات عنيفة بينكما أحس كأنما انت كائن منوم او مخدر يسوقونك الى الذبح، وقطعت فجاة علاقتك بناو بهذا الانسان الذي اصبح «سرك» ومنبع الامل، ومجال العطف الوحيد في حياتك. واقبل الي منزعجاً متسائلا كيف يكون من طاقة انسان ان يندفع بهذا العنف ثم يتخلى بهذا العنف عن عواطفه وكل ما جهد من اجل الوصول اليه، وكيف يعود الانسان ويطمئن الى كلمات انسان آخر. وكان يحمل معه رسائلك يقرؤها لي واحدة بعد الاخرى متسائلا: هل رضيت حقاً ان تستسلم لحياتها التي قالت انها ستشبه فيها حيواناً يعيش ليأكل وينسل، حياة هي زخرف لا روح فيها. ولقد بدت علي امارات الدهشة في اول الامر، لكنه حين علمت منه جوانب قصته أجبته مبتسماً: لقد كانت تعرف ان ثقافتك هي نقطة الضعف فيك، فحاولت ان تملأك ـ بغريزتها ـ غروراً بهذه الكلمات التي تتمسك بها اليوم. ان صداقتها لك ما كانت مرتبطة الا بالزواج منك، وقد تخلت الآن عنك لكي تتفرغ وتكيف نفسها بالموقف الجديد. وعليك ان تعاني يا صاحبي لأنك لا تريد ان تسلك طريق الآخرين حيث تكون القيم واحدة متفق عليها لدى الجميع، ففي المتجر يدخل الشارون وهم يدركون انهم امام بائعين، ويبيع البائعون وهم يدركون ان امامهم مشترون، وتتم المساومة فاما اتفاق واما لا اتفاق، وليس للواحد حق على الآخر ابعد من ذلك. اما انت فقد دخلت المتجر وانت تحسب نفسك مالكاً فافهموك انك لا تملك شيئاً في هذا المكان، وهذا هو سر انزعاجك.

وفي الشرق لا نزال نجد هذا التناقض البين في كثير من الاسرات، فهن يثقفون الفتاة تثقيفاً عالياً ويدفعونها الى العمل الخارجي، ثم يأبون عليها ان تتصرف في شؤون مصيرها وزواجها كانما هي فلاحة قاصر عذراء، لا يشفع لها ما تتمتع به من سن ناضجة وثقافة عالية وعمل خارجي كالرجل، ويضعونها بذلك في مأزق حرج، فعليها ان تفعل احد امرين! اما ان تضحي بعواطفها العائلية وتتسبب في اقامة ضجة كبيرة، واما ان تلقي نفسها وتضحي بسعادتها وبكل ما ترتبط به في سبيل جهل لا مكسب لقومه من ورائه. ومن يتخذن الطريق الاخير يكون البطلان والضحايا اللاتي يعبدن الطريق لمن يأتي بعدهن.

ولقد استقبل صديقي المحنة بشجاعة لانه يعرف كيف يستطيع التخلي كما يستطيع الحصول، وكل انسان يحاول الحصول بغير ان يقيم احتمالا للتراجع انما عليه ان يعرض نفسه اما للانتحار واما للجنون. لقد احس ذات لحظة انه لم يعد كائناً انسانياً، وان حياته عادت لتكون وهماً كبيراً، وانه فقد ثقته في الناس، لكنه ما لبث ان ادرك ان الناس اذا رأوا حادثاً في الطريق يذهب ضحيته انسان فانهم لا يمتنعون عن السير بل يواصلون مغامرتهم كل يوم، وفي لعبة الشطرنج اذا ماتت إحدى القطع فاننا نستمر بدونها، والفراق الذي يعانيه ربما يكون ارفق من الوان اخرى من الفراق تقع في هذا العالم وتكون اكثر هولا وفظاعة. لقد ادرك انه اضاف الى تجاربه تجربة فيها عرف حدود الناس ومجالات تفكيرهم، وعليه ان يرقب الحدث كما يرقب جرحاً سيؤلمه زمناً لا بد منه ثم يندمل كل شيء. فهو لا يستطيع ان يقاوم طبيعة الاشياء. وهو حزين على انسان يصلبه اقرب الناس اليه وهم يجهلون ما يفعلون، وعلى صديقة يدوسون كرامتها وسعادتها أمام عينيه، وعلى جهل منتشر في المجتمع يخلط بين القيم، وعلى جهد بذله ضائعاً وعلى جهد عليه ان يبذله من جديد لكي يباشر مسؤوليته التي يحقق بها وجوده الكامل. اما القصة فبسيطة وعادية، وملقاة كل يوم على ارصفة مدينتنا.

القاهرة **يوسف الشاروني**

سراب

قسماً بعينك يا سراب لم ينسني فمك الغياب
شفة، تنهدت الحياة، لو استفاق لها رضاب
وفم أذوب لهمسه ولهاً، ويسعدني الجواب
ولكم رشفت الخمر منه، ففار من فمها الحباب
أما العيون فنرجس نعسان، خضبه السحاب
خضر كأعراس البنفسج، والبنفسج لا يعاب

*

أسراب، يا شوق الفم الظمآن تيمه الشراب
يا لهفة العذراء، لم تحلم بفتنتها الرغاب
ترقب الوعد الشهي، فكل ليلتها اضطراب
وتمور فوق سريرها الرجراج، اوهام عذاب
وتقص بالأمل الندي هوى، فيخجلها العتاب

*

أسراب، اين أراك والدنيا هموم واكتئاب ؟
حسبي وحسبك، أن يطيل أساي نأي واغتراب
أنا ان حببت الطيف، فالأطياف زورتها اقتراب
لي موعد في الغيب، أدعوه فيقعده ارتياب

طرطوس — **أنور الجندي**

الغل

يا ارض ضيعت هواي الرقيق فابتعدي عني كي استفيق
حملت ماضيك على عاتقي أرسف بالغل القديم العتيق
تشدني اليك تقوى يدي عشرين عاماً بالاماني تضيق
وانت لا زلت كما كنت لي تستنفديني كل مجدي العريق
بخلت بالنور ولم تبخلي علي بالموت، وما لا أطيق
في كل يوم لي في فكه غد تصباه بغصن وريق
وعظمة زرقاء تمتصها الديدان في حفرة قبر سحيق

*

هنا تدب اليوم اسطورة يمتصها صمت الخريف الصفيق
حاضرها الدامي رؤى جمدت اطيافها على جباه الرقيق
يمشون للموت وأعناقهم جذوع نخل قد شواها حريق
جنائز تمضي الى حتفها بلهاء، لا تعرف أين الطريق
والقيد في أرجلها قصة كأنها تروي لفكي غريق

*

يا أرض احلامي قدفاتني الركب، وألقاني هنا لا افيق
أشق في قلبي قبر التي قص جناحيها توالي البريق
ماضي لو تدرين انشودة يحبسها الدمع بعيني صديق
أخشى اذا افقت من غشيتي ان لا اغنيها بصوتي العميق

بغداد — **صفاء الحيدري**

الاونباشي دوريك

للكاتب البولندي جوزيف وتلين Joseph Wittlin

مترجمة عن الانجليزية

بقلم مبارك ابراهيم

ولد مؤلف هذه القصة عام ١٨٩٦ وهو روائي وشاعر، وكاتب من كتاب المقالة. وقد درس في جامعات النمسا وتطوع جنديا في الفرقة البولندية، وخدم في الجيش النمسوي في الحرب العالمية الاولى.

وعين بعد الحرب استاذاً للادب البولندي في احدى جامعات النمسا. وفي عام ١٩٢٣ عين مديراً للقسم الادبي في المسرح الحكومي بمدينة « لودز » ثم مديراً لمعهد التمثيل. وظل في هذا المنصب عامين كاملين.

وقد نشر اول مجموعة من شعره عام ١٩٢٠ فكانت اول اثر ادبي يظهر في بولندا بعد الحرب العالمية الاولى. وفيه دعوة ضد الحروب.

وعكف عدة سنين على ترجمة « الاوذيسيه » الى اللغة البولندية. ثم نشر بعد ذلك مجموعة مقالاته في مجلدين.

وعاش في ايطاليا عامي ١٩٢٥ و ١٩٢٦. ثم ترجم الى اللغة البولندية عشرين رواية مسرحية منقولة عن الايطالية والفرنسية والالمانية. ثم نشر طبعة جديدة لكل من كتابي « دون كيشوت » والف ليلة وليلة. وذهب عام ١٩٢٧ الى وارسو، ونال جوائز عديدة من الاكاديمية البولندية. ومن اكاديمية الفنون والآداب بنيويورك. واليك القصة: قال الكاتب:

*

كان « بيتر نيفيا دومسكي » من مواليد عام ١٨٧٣ ولكنه هو لم يكن يعرف عن ذلك شيئاً. ذلك لان علم السنين والحساب لم يكن له مكان من عقله، ولكن ادارة البلدة تعرف ذلك. وهي تعرف كل شيء. وهي تحصي كل شيء في سجلات كتبت فيها الارقام كتابة لا تمحى على ممر السنين.

وهي تعرف الذين جاءوا الى هذه الدنيا. وتعرف يوم مجيئهم. وهي تعرف الذين غادروا هذه الدنيا. وفي اي يوم كان رحيلهم.

وهي في كل عام من اعوام السلم تصدر قائمة باسماء من بلغوا الحادية والعشرين من عمرهم. وعلى هؤلاء جميعاً ان ينضموا الى صفوف الجيش. سواء منهم الاعمى والاعرج والاصم والاحدب. اذ المفروض على كل رجل ان يستعد لاداء الواجب. ولادارة الجيش ان تختار لخدمة الجيش من تشاء.

وفي زمن السلم اعفي « بيتر » من الخدمة ثلاث مرات، بوصف انه العائل الوحيد لامه الشيخة. ولطفل صغير. وهذان قد ماتا بعد زمن قليل.

وظن صاحبنا انهم قد نسوه. او كانوا عنه من الغافلين. ولكن كان في ذلك على خطأ. فان الامبراطور لم يكن قد نسي « بيتر نيفيا دومسكي ». بل كان يعده ليوم كريهة وسداد ثغر.

وها قد ازفت الآزفة. وجاء الى المدينة رجل يسعى. وكان هذا الرجل واحداً من رجال الشرطة. وكان « بيتر » يري في كل رجل منهم نذير شؤم. وهو لا يحقد على احد منهم. ولا يحمل له ضغناً. ولكن يرى ان الشرطي تفوح منه دائماً رائحة السجون والسدود. والاغلال والقيود.

وكان الشرطي هو « الاونباشي دوريك » وهو من خاصة معارفه. وطالما تحدث اليه في المحطة. وكان « بيتر » وهو من رجال السكك الحديدية. جد فخور بهذه العلاقة الودية.

وكان هذا الشرطي يبدو في نظر صاحبنا انه قد بلغ الغاية في الذكاء. وانه قد اوفى على الغاية في حسن الذوق.

وكانت معاطس صاحبنا « بيتر » لا تخطىء ابداً رائحة صابون الحلاقة الذي كان يستعمله الاونباشي « دوريك ». ولكن الاثر الباقي الذي لا تمحى صورته. هو تلك السن الذهبية التي تلمع بين ثناياه. والتي كان يكشف عنها كلما فتح فمه ... سواء أكان ذلك في مناسبة خاصة او عامة.

وكانت هذه السن هي الحد الفاصل بين « بيتر » وبين الرجل العظيم القدر « الاونباشي جان دوريك ». وكان بريق تلك السن. ولمعانها ابعد اثراً من ردائه الرسمي. بل من بندقيته وسيفه. فهي توحي بالتوقير لذات الموقر. فلو ان « الانباشي دوريك » قد خلع ملابسه. وبدا للناس عرياناً. لحفظت عليه تلك السن الذهبية جلاله. وابقت عليه وقاره.

« والاونباشي دوريك » في هذه المرة قد فتح فمه بوصفه موظفاً عمومياً. قد هبط من برجه العالي. فافتر ثغره عن ابتسامة. وكأنه واحد من الافراد العاديين، وذلك ليخفف من وقع تلك المناسبة القاسية التي جاء من اجلها.

ثم اعتدل في جلسته وقال : ان لك دعوة عندي يا « نيفيا دومسكي » فقال له هذا : أهي دعوة الى الجندية ؟

قال : لا ! بل هي دعوة الى الرقص ! !

ولما كان التهكم ليس من سجايا اهل تلك البلاد. فلم يفطن « بيتر » اول امره الى ما يعنيه الاونباشي بكلامه .

وخيل اليه بحكم تداعي المعاني انه يسمع لحناً موسيقياً . وان انغام ذلك اللحن تمر بخاطره موقعة على العود والقانون... وان فتيات من ذوات الدلال يخطرن امامه راقصات . وهن يرفلن في الدمقس وفي الحرير .

ولكن « الاونباشي » قد ايقظه من غفوة احلامه . واخرج من حقيبته التي اعتاد ان يحمل فيها الاصفاد ورقة مطوية مختومة .

وغفر الله « لجوهان جوتنبرج » وسامحه فيما اقترف من جريمة اختراع ذلك العذاب الجديد يصيب به اولئك الوادعين الذين لا يعرفون القراءة والكتابة .

فمنذ عهد ذلك الاختراع اللعين انتشر ذلك الوباء . وباء القراءة والكتابة . وكأنه الطاعون والكوليرا . ليضل الناس ويسمم عقولهم . ويلبسهم ثوب الكبرياء . كبرياء العلم والمعرفة .

وعلى الرغم من انفراج الفجوة بين عام ١٤٥٠ وهو تاريخ اختراع الطباعة . وبين عام ١٩١٤ فان ذلك الاقليم الذي اظلت سماؤه صاحبنا « بيتر » كان يعج بالرجال الطيبين الذين لم تصبهم تلك المحنة . محنة القراءة والكتابة . والذين لم تلن قناتهم لقانون التعليم الاجباري . مفضلين السجن والغرامة على ان يفسدوا نفوس اطفالهم بتلك الابجدية اللاتينية او تلك الابجدية الصربية .

وكانت ميزانية وزارة التعليم الضئيلة خير حليف لهم في الانتصار على ذلك العدو العنيد الذي يسميه الناس التعليم والتثقيف .

ومن ثم كان يبدو لكل ذي بصيرة ان الحكومة تحارب بطريقة غير مباشرة ذلك الشيطان المريد الماثل في كل كلمة مكتوبة

ولكن الشيطان لا يعرف سبيلا غير سبيل الانتقام . وهو يقف في طريق الانسان اينما سار . غير مكتف بمفارق الطرق . بل له في كل ركن وقفة . وفي كل زاوية قعود . فأنت ترى اللافتات في كل مكان تحذر الناس وتنذرهم . فهنا : «ممنوع البصق» . وهناك : «ممنوع التدخين» . وهنا : « الجهل بالقانون لا يعفى من العقوبة » . وهناك لافتة تقول : «ان استعمال هذا الماء للشرب ممنوع » . ثم هناك الشيطان يعلن من فوق أحد الاعمدة : «إحذر القطار» . وهو في ذلك يبدو كانه صديق حميم يحرص الحرص كله على سلامة صاحبه . وكأنه يريد ان يبعد الناس عن الموت . والموت لهم بالمرصاد . في كل مكان وليس في الحرب وحدها .

فما ذامت السكك الحديدية تمتد خطوطها . فهناك يكمن الموت . وهو يقفز في كل لحظة من بين الخطوط . والموت كذلك كامن في أشعة الشمس . وهو ينقض كالصاعقة على رؤوس الحصادين . والموت ايضاً مختف بين ثنايا الامواج . فطالما سمع الناس ايام الصيف عن جثث الغرقى التي انتشلت من البحار والانهار .

« وبعد » فقد طلب « بيتر » الى الاونباشي ان يتفضل فيقرأ عليه نص الامر الذي يدعوه الى الجندية . فاتخذ « دوريك » هيئة الجاد العابس ثم قرأ ما يلي :

ان الامر يدعوك الى الحضور بعد خمسة أيام . وفي الساعة التاسعة صباحاً الى مجلس التجنيد في مدينة « سنياتين » واني احذرك من التأخير... وقد شدد مخارج الحروف . وهو ينطق قوله : واني احذرك من التأخير . وكأنه يريد ان يقول انه متفق في ذلك مع الذين أصدروا ذلك الامر .

ولكن « بيتر » طلب اليه ان يقرأ نص الدعوة كاملة . فاتخذ صاحبنا « الاونباشي » لهجة اكثر عنفاً واكتسى وجهه صورة من صور القسوة ، واتخذت نبرات صوته نغمة تبعث الرعب . وكأنه ممثل يقرأ على المسرح حكما من أحكام الاعدام . ثم بدأ يقرأ ما يلي :

يجب على « الهر بيتر نيفيا دومسكى » ان يحضر أمام المجلس. فقال « بيتر » : هذا شيء يسر ! فهم يخاطبوني بلقب « هر » . ثم سمع كلمات كانت ثقيلة على مسامعه كقولهم : وعلى الجند ان يبدو في مظهر نظيف لائق . فقال : وهذا يكلفني ان أستحم... ويكلف زوجتي ان تغسل القميص ...

ثم سمع ما هو أدهى وأمر وهو قولهم : اما عقاب المتخلف فهو تطبيق مواد قانون الدفاع عن الوطن الصادر عام ١٨٦١ فقال : وما معنى كل هذا ؟ انهم في أول الخطاب يلقبونني «بالهر» ويطلبونني طلباً رفيقاً . ويبدون الثقة بي . ثم ينذرونني اذا خالفت الامر بتصويب البنادق . وبارسالي الى غيابة السجن!

ثم زاد «الاونباشي» فقال : وهل تعرف ما جزاء الهاربين من الجندية اليوم ؟ إنه المحاكمة العسكرية ثم قتلهم

فوندل شاعر هولندا

بقلم نعيم قطان

تفاخر فرنسا بموليير وكورني وراسين وتفاخر بريطانيا بشكسبير وتفاخر ايطاليا بدانتي واسبانيا بسرفانتس اما هولندا فانها تفاخر بفوندل. وفوندل الذي يعتبره الهولنديون اكبر شعرائهم طراً والذي لا يجهله احد في اي ربع من ربوع البلاد يكاد يكون مجهولا في الخارج. والآن بعد مرور ثلاثة قرون تقريباً على وفاته لم يحتل بعد المكانة والشهرة العالمية التي يحتلها موليير وشكسبير وسرفانتس والتي قد يستحقها ولعل السبب الاول لذلك هو صعوبة اللغة الهولندية وعدم تعلم الاجانب لها. فهولندا التي نجد بواخرها في البحار والمحيطات قاطبة والتي لها تجارة عالمية يعلم مواطنوها بالضرورة لغات عديدة ولا يحتاج الاجنبي تعلم لغتهم للتفاهم معهم. وسبب آخر لجهل الاجانب فوندل هو ان عظمته هي في الدرجة الاولى في موسيقى الفاظه وفي لعبه بالكلمات وفي المعاني المستحدثة والتعابير المستجدة التي نجدها في شعره. ويؤدي ذلك بطبيعة الحال الى ان ترجمة مؤلفاته الى لغة اخري مهما بلغت من الاتقان ومهما كانت العناية التي تخصص لها تفقد شعره عمقه وطابعه الخاص.

يسمع الاجنبي بفوندل حينما يقوم باول جولة في امستردام حيث يتمتع بمشاهدة حديقة كبيرة بالغة في الجمال مونديال بارك. وان اطلاق اسم موندبال على اكبر حديقة في امستردام انما هو حق للشاعر الهولندي على المدينة تؤدية له. فان جوست فوندل الذي ولد عام ١٥٨٧ في مدينة كولوني في المانيا من عائلة هاجرت من انتورب «المينا البلجيكي حالياً والذي كان قسماً من هولندا آنذاك» ثم قصدت عائلته امستردام وهو في العاشرة من عمره وبقي في هذه المدينة الى وفاته عام ١٦٧٩ وقد بلغ الحادية والتسعين.

وقد عاش فوندل كما نرى في القرن السابع عشر ذلك القرن الذي كان بحق العصر الذهبي في تاريخ هولندا. فقد كانت هذه البلاد آنذاك ذات قوة عالمية وكانت لها بحرية تكاد تكون الاولى في العالم. وقد صحب هذا التقدم المادي وهذه الاهمية التجارية تقدم فكري وادبي وفني. ففي الوقت الذي كان فيه الفن الهولندي في اوج عظمته، في العصر الذي عاش فيه رساموں بفطنة رمبرانت وفرانز هالس وفرمير، في العصر الذي عاش فيه سبينوزا نجد ان للادب ايضاً ممثليه وللشعر رائديه واول هؤلاء هو بريدرو الذي كان في نفس الوقت رساماً والذي اشتهر في عصره كرسام وليس كشاعر. وقد ادخل بريدرو كلمات جديدة الى اللغة الهولندية في الحين الذي كان يستعير من سبقه الالفاظ الفرنسية حين لا يجد الكلمة الهولندية ابتكر بريدرو كلمات جديدة لكل ما لم يعثر له على لفظ يؤدي معناه. وهو بذلك ادخل عنصر التجديد والاستقلال عن اللغات الاخرى في اللغة الهولندية، وان كان بريدرو الشاعر مجهولا في عصره فان الاهمية التي يعطيها اياه الشعراء الهولنديون المعاصرون تفوق الاهمية التي يعطونها لفوندل وقد كتب الشاعر

برصاصات تخترق الرؤوس.

فقال «نيفيا دومسكي»: اني متفق واياهم في هذا الحكم.

ثم ناجى نفسه وهو يقول: يخيل الي ان كل شيء في هذه الدنيا هو قسمة بين الله وبين الامبراطور «فرانسوا جوزيف» فالسماء والارض. والانهار والجبال. والبقر. والكلاب. والناس. الأمر فيها لله وحده. أما السكك الحديدية وعرباتها وقاطراتها، وكل شيء فيها صاعداً ونازلا. فالأمر فيها للامبراطور «فرانسوا جوزيف». ثم ان قوام كل أمر في هذه الدنيا هو النقود. ومن يملك تلك النقود؟ انما يملكها ذلك الشخص السامي المقام الذي تبدو صورته فوق كل قطعة منها.

والله سبحانه يهب الناس الحياة. والامبراطور فرانسوا جوزيف يمنح الناس المال. وكلا المال والحياة عارية مستردة.

ثم قال لنفسه بصوت عال: وعلى هذا فاني ذاهب فمنضم الى الجيش. فان جلالة الامبراطور يعرف عني كل شيء. فهو يعرف رجل السكة الحديدية «بيتر نيفيا دومسكي» ابن المرأة «واشلينا» الذي يقيم في اقليم «شنياتين»، والذي خدم جلالته عشرين عاماً خدمة صادقة. وجلالته من اجل ذلك يبعث في طلبي. وهو لذلك يكتب الي مخاطباً اياي بلقب «هر» فيا له من تكريم!

ثم سار «بيتر» الى الجندية، مخلفاً وراءه القرية بكل من فيها وبكل ما فيها، وهو يخاطب نفسه قائلا: ان رجال الشرطة هم من مسببات فقد الشهية للطعام...

القاهرة — مبارك ابراهيم

الهولندي المعاصر مار سمان قصيدة يحيي فيها ذكرى الشاعر الكبير ويطري فيها عصريته. ولحق بريدرو هوفت وكاتز وغيرهما الا ان اهمية هؤلاء لم تكن تساوي اهميته او اهمية اكبر شاعر عقبه واعني به فوندل. « وكان في ذلك العصر صالون ادبي يدعى ماودر كرنغ يلتقي فيه الشعراء والفنانون ».

وقد استفاد فوندل من مبتكرات بريدرو اللغوية ولكنه اكتفى بها. فهو كلاسيكي في الدرجة الاولى اي انه تقيد بالقواعد الكلاسيكية في النظم وفي تركيب المسرحية. والشعراء الهولنديون المعاصرون لا يجدون لديه التجديد الذي يجدونه في شعر بريدرو ولا يجدون في مسرحياته شخصيات قوية حية كشخصيات موليير وشكسبير وهذا يفسر تفضيلهم بريدرو عليه.

كان والد فوندل تاجراً للحرير والصوف وعمل الشاعر الشاب مع ابيه في التجارة مكرساً اوقات فراغه لميله الطبيعي للشعر. وكان مولعاً باللغات وتعلم بصورة متعاقبة الفرنسية واللاتينية واليونانية والايطالية. وبعد ان كان منتمياً الى البروتستانتية اعتنق الكاثوليكية في الرابعة والخمسين من عمره.

ومن الشعراء الذين تأثر بهم نذكر فرجيل الشاعر اللاتيني وسوفوكل الشاعر اليوناني. والظاهر ان شكسبير لم يكن له تأثير عليه.

وفوندل كاتب مسرحي بالدرجة الاولى ومسرحياته تتبع القواعد الكلاسيكية في تركيبها فهي شعرية ذات خمسة فصول. ومواضيع مسرحياته تكاد تنحصر في نوعين اولهما المسرحيات الدينية التي اقتبس مواضيعها من الكتاب المقدس او من تاريخ الكنيسة المسيحية نذكر منها «يوسف في مصر» ١٦٤٠ سليمان ١٦٤٨ يفتاح ١٦٥٩ لوسيفر ١٦٥٤ بيترس وباولس ١٦٤١ وماري ستوارت ١٦٤٦.

وقد اتخذ في النوع الثاني من مسرحياته مواضيع وطنية منها « بالاميدس » التي يهاجم فيها اعدام اولدنبارنفلت وكذلك مسرحيته خسبرت فان امستل التي يمكن اعتبارها اشهر مسرحياته والتي تروي حصار امستردام في القرن الرابع عشر ودفاع البطل خسبرت عنها. وقد دخلت هذه المسرحية في التقاليد الهولندية فهي تمثل كل سنة في هولندا في عيد ميلاد المسيح.

وبجانب المسرحيات كتب فوندل عدداً كبيراً من القصائد منها بمناسبات «كزواج او ميلاد او وفاة او انتصار الخ ...» ويعطي بذلك خير فكرة عن عصره الذي اهتم بشؤونه وعاش مشاكله بعمق واخلاص. وقد كتب كذلك قصائد دينية يمجد فيها الدين المسيحي واهمها مجموعة: « آراء عن الله والدين » يهاجم فيها فلسفة سبينوزا.

وفي السنين الاخيرة من حياته ابان فوندل عن قوته الروحية وامانته ونزاهته الفكرية. فان تحوله عن البروتستانتية واعتناقه الكاثوليكية قد افقده عدداً كبيراً من اصدقائه وخلق له اعداء كثيرين ومع ذلك فانه قد احتفظ برزانته ولم يعرف الانخذال ولم تتغلب عليه الصعوبات المادية ولم يفقده رويته الحرمان الذي قاساه في شيخوخته.

ولعل بعض امثال من شعره تعطي فكرة اوضح عن هذا الشاعر الكبير.

هذه بعض الابيات من مسرحية خسبرت فان امستل تتجلى فيها واقعية فوندل

يحنق العملاق الكبير ويصيح ويصرخ
من الراس ومن الرقبة كأنه برج مرتفع وقوسه
انه كالفيل يضرب خرطومه الهواء
وملقطته كشراع بين اصابعه الهائلة
رأيته يلقي بالرجال كالارانب
مرات ثلاثا حوله ماسكا بهم من قدمهم
ومحطما جماجمهم على الارصفة والطرق.

وهذه اغنية الملاك عن محاسن الله في مسرحية لوسيفر:

هو الذي يحلق في القمم
ويبلغ سحيق الاعماق طوال اليوم
هو الذي لا تحده نهاية او زمان
او مكان فهو ازلي الوجود
لا مقابل له ولا مساعد
لا يعتمد الا على جبروته
هو الذي يضم في جوهره
ما هو في باطنه وما هو خارج عنه
يدور ويتحرك دون ان يحيد عن الطريق
حول المركز الوحيد الحقيقي
ملك الشموس، الروح والحياة
روح كل ما يمكن ان تتخيله
او ما لا يمكن تصوره
القلب، الينبوع، المحيط
للكنوز التي هو اصلها ...

واخيراً هذه مقتطفات من القصيدة التي بعث بها فوندل الى صديقه البروفيسور فوس معزياً اياه بوفاة ابنه:

لم الشكاة، يا فوس الحكيم
لم ترتسم على جبهتك الشجون
لا تفر من السماء التي تضم طفلك
السماء تجذب: ابه، اعد الطفل
جفف دموعك ولا تذرفها عبثا
واعرف كيف ان تقدم سعيدا راضيا
الى الاب الجم المحبة، الى الله
لؤلؤة الكنوز البشرية.
يستنفد الانسان قواه عبثا
حين يحاول ان يوقف
الماء النازل من اعلى صخرة
ليجري بين سواحل عريضة.
هكذا تدور الدنيا فاما
يبكي اب ابنه الحبيب
او يبكي ابن اباه
والموت لا يهمل عتبة او سقفا
الموت لا يترك لا الطفل
العذب ولا الكهل العبوس
الموت يسكت الخطيب
ولا يفرق بين قديس وعالم
مرحى للقلب الذي لا يتبدل
الذي لا تثنيه اية ملذة
والذي يقوس ويتصلب
امام المصير المحتوم

روتردام — نعيم قطان

مشابه وحالات بشرية

بقلم محمد يوسف مقلد

الفنون الجميلة — ومنها الادب — ترجع الى اصل واحد هو « الشعور »، وجميعها غرض واحد هو « التأثير » الا انها تختلف في طريقة التعبير، فالادب يعبر بالالفاظ والعبارات، والتصوير بالالوان والخطوط، والموسيقى بالاصوات والمسافات، والنحت بالمادة والاوضاع.

لذا، كانت « عدسة » الشعر اصفى بلورة ترتسم عليها آثار العصر ومعالمه، والحياة ومزاياها. فاذا شئت ان تدرس عصراً من العصور فلا ترجع الى التاريخ بقدر ما ترجع الى الشعر الذي قيل فيه، لان التاريخ « حكاية » قابلة للتحريف والشك، اما الشعر فانه « صورة » تظهرك على حياة العصر مما يحس منه وما يرى بلا مواربة ولا تمويه. ان تصوير العواطف البشرية لا قدم فيه ولا جدة، فالحب حب، والبغضاء بغضاء منذ خلق آدم الى يوم تقوم القيامة ... وليس الشعر الوصفي المصور بمقصور على الملاحم ولا على القصص ولا على غير ذلك من الموضوعات انه يكون حيث شاء له الوحي ان يكون. ان الشراب في قيمته لا في انائه، والفضل للشاعر لا للموضوع.

***

انظر، كم يوجد اليوم من برك* وبحيرات اصطناعية تفوق بجمالها وحسن موقعها بركة المتوكل، لم تجد لها شاعراً يصفها ويجلو محاسنها. واذا كانت مثل هذه الاماكن لا توحي الشعر، فأي شيء يوحيه ... ؟ ام نظل مشغولين بوصف القد والخد والعين والنهد وال... !

اذا كانت بركة المتوكل، وهي لا شيء بالنسبة الى ما عندنا اليوم من مشاهد خلابة قد اوحت للبحتري هذه القصيدة العاطرة، ترى فاية قصيدة كان ينظم البحتري او غير البحتري من شعراء ذلك العصر لو انه قدر له ان يرى « الليدو » بدكار السنغال، او مرتاد شاغور حمانا، ومقهى عين الرمانة في لبنان، ويجلس فيها جلسة واحدة ازاء جداولها وبركها ونافوراتها ويشاهد تلك المرائي الجميلة والمناظر الساحرة بحضور اجمل السيدات والآنسات ... او لو شاهد حمامات البحر وتلك الاسماك الآدمية الجميلة التي تسبح فيها وتقفز من علو شاهق على رؤوسها « شكاً » حتى تبلغ القاع، ثم تعوم طافية على سطح الماء تنفض رؤوسها الجميلة تيهاً وعجباً ...

كم روضة غناء — عندنا اليوم — ليست « شعب بوان » حذاءها شيئاً مذكوراً لم تجد لها ابا طيب يقول فيها :

ملاعب جنة، لو سار فيها سليمان لسار بترجمان
طبت فرساننا والخيل حتى خشيت وان كرمن من الحران
غدونا : تنفض الاغصان فيها على اعرافها مثل الجمان
لها ثمر تشير اليك منها بأشربة وقفن بلا أوان
وامواه تصل بها حصاها صليل الحلي في ايدي الغواني
اذا غنى الحمام الورق فيها اجابته أغاني القيان
يقول بشعب بوان حصاني أعن هذا يسار الى الطعان ؟
أبوكم آدم سن المعاصي وعلمكم مفارقة الجنان !

على موائد الشراب

وهذه ظاهرة اخرى من ظواهر حياتنا العصرية عرفت في القديم على نحو ما نعرفها اليوم واحسن : جلوس الى مائدة شراب تطيب بالمنادمة والمشاربة مع نديم مختار. وهل احق واجمل من ان يكون المختار الى هذه الجلسة شاعر ... ؟

ومن اجل ذلك، كثيراً ما اتخذ الملوك واصحاب السلطان الادباء والشعراء ندماءهم في مجالس شرابهم ليضيفوا ارواحهم الظريفة، الى روح سجينة الدهر في الدنان والقناني ... وليس من الضروري ان نعرف هل كان شراب القدامى كونياك، او ويسكي، او جعة، او شمبانيا. يكفي ان نعرف ان شرابهم كان « خمراً » لا اكثر ولا اقل مهما تعددت الاسماء ... انما نحن بصدد الظاهرة التي تماثل حالة من حالاتنا اليوم وهي « كيفية » معاقرتها. اما وصفها ووصف نشوتها اللاذة المسكرة، وما ينجم عنها من مضاعفة الاحساس بالحياة، فهذا كله كفانا مؤونة شرحه وعرضه الشعراء الاول حتى ما ابقوا في وصفها قولا لقائل بعدهم على الاطلاق ! !

وهل يحسن بنا ان نقف عند هذا الايراد والادلاء دون اعطاء بعض الامثلة الشعرية ؟ كلا ... فمن نختار اذن ؟ انختار الاخطل، ام امرأ القيس، ام جريراً، ام ابا نواس، ام من ؟ انهم كثيرون حقاً ... اما انا فاختار قول البحتري نفسه :

قد سقاني ولم يصرد ابو الغوث على العسكرين شربة خلس

* عطفا على ما سبق « الاديب عدد فبراير ج ٢ »

من مدام تقوها وهي نجم اضوأ الليل ، او مجاجة شمس !
وتراها اذا أجدت سرورا وارتياحا للشارب المتحس
أفرغت في الزجاج من كل قلب فهي محبوبة الى كل نفس !
حلم مطبق على الشك عيني ام أمان غيرن ظني وحدسي ! »

لقد سقاه ابو الغوث ولم يصرد : كان يصب له بتواصل في فترات الشرب وقبل ان تفرغ الكأس تماماً .. أتراه يريد ان يسكره ..؟ ولم يصرد - معنى آخر - اي سقاه صرفاً خالصاً غير مشجوج بماء ، استحثاثاً للنشوة باسرع ما يمكن ... ولم ينعس رغم انه أصبح « في حلم مطبق على الشك » الى ما يغير الظن والحدس في هذه الحال ، لم ينس وصف شعوره نحوها حين « أجدت له سروراً وارتياحاً » . اما حكاية النجم في الكأس ، فهي حكاية جد صادقة يعرفها كل من عرف الكأس وحبب الكأس « النجم » وهو يتصاعد فور السكبة من قعر الكأس ، ثم ينطفىء عندما يبلغ سماءها ..! هذا في حالة سورتها .. اما في عمومياتها فهي ليست اكثر من « مجاجة شمس » - وما أجمل وأوفق هذا اللون - . اما انها « محبوبة الى كل نفس » فهي قضية مفروغ منها منذ عرفت الخمر .

شباب اليوم

انظر : حتى اسلوب حياتنا العصرية ، لا تراه يختلف في قليل او كثير عن اسلوب القدماء ، وهو ما سميناه في بداية هذا البحث « بفن المعيشة » . فجاء الحب ، واللهو ، والمجون ، وارتياد الدور ... والمقاهي والحانات في المدن والعواصم حيث تتوافر دواعي الترف واسباب النعيم . كل ذلك اصبح ظاهرة بارزة اشد البروز في عصرنا الحاضر ، يحياها « شباب اليوم » .

ولعل مرد ذلك الى ان الناس - الا اقلهم - يؤمنون في اعماق نفوسهم « بواقع » الحياة الطبيعي الماثل امامهم ويكفرون بما دون ذلك .. فاذا رأيت من يخالف هذا « الواقع » ، فانما يخالفه بشيء من النفاق الفاضل ، والتقية المكبوتة حفظاً على مسلك اجتماعي خاص نشأ عليه وعرف فيه ...

لاحظ ، تر ، ان شعار افكار الكثرة الغالبة من الناس - وخاصة الشباب - مذهب المتنبي :

إنعم ولذ ، فللامور أواخر ابداً ، اذا كانت لهن اوائل
ما دمت من أرب الحسان فانما ظل الشباب عليك ظل راحل ،

هذه هي - بالفعل ! - فلسفة الحياة « الواقعية » . إذن ، فلا بد من انتهاز الفرصة قبل فوات الأوان ..!

ما اكثر ما نقرأ في ادبنا القديم من « المشابه والحالات البشرية » وخاصة الشعر الوجداني . ولن اشغلك في اعطاء الامثلة فهي كثيرة ومتنوعة في ثنايا الكتب الصفراء التي حفلت باجمل الشعر التصويري واعذبه . وانما اكتفي بهذه القطعة الوجدانية لابن عبد الملك ، فانها من اجمل الصور واصدقها لكل انسان تتوفر له النعم الثلاث : الشباب والمال والجمال :

زمان شبابي دمت خير زمان فلا زلت مشكوراً بكل لسان !
فلله كم جررت ذيل بطالتي واطلقت للذات فيك عناني !
وقدكنت سباقا الى الغاية الصباحيبا اذا داعي المجون دعاني..!
الا خلياني والشمابي ، فانني ارى في الشمابي غير ما تريان
سأملأ من طيب المدام مفارقي وأخضب من صرف الكؤوس بناني!!

تالله ما قال الا خيراً ... ! فمن طبيعة الحياة البشرية ان المرء مفطور على شكران من يحسن اليه . وما دام « زمان الشباب » هو صاحب هذا الاحساس ، فكيف لا نشكره؟ الم يقل الشاعر المجرب « وكل زمان ينبت العز طيب » ؟...

ان هذا الفتى الاغر ابن عبد الملك صور نفسه في هذه الابيات الخمسة ، وكأنه صور شباب اليوم بالذات ... هذا الذي بحجر واحد اصاب عصفورين ... رضوان الله عليه ! ...

بنات اليوم

وليس بنات اليوم اقل حظاً من شباب اليوم ، فان لهن في الشعر القديم مشابه ومحالات كما لأولئك . قال ذو الرمة :

ظباء بدا لهن الليالي مكان قرونهن ذرى جمام ...

مثلما ان زينة ظبية الفلوات قرناها ، كذلك زينة الظباء الآدمية « ذرى جمام » من الشعر المضفور المصفف على الفودين او ما يليهما كما يشفق لك ان ترى كل يوم من نساء هذا العصر . لكن فارقاً واحداً يبدو لنا من خلال الشعر الغزلي الذي صور لنا مفاتن المرأة التي تجذب القلب والاعجاب : البدانة والسمنة . اي انهم كانوا يفضلون الشابة البدينة ذات الكفل البارز المترجرج ، والبطن المثناة طياً طياً من الشحم ، والمشية المتثاقلة المتأنية التي تتراقص لها روانف الاليين وسائر الاعضاء البارزة ، شأن المترفات من النعيم ، قال ابو الطيب :

اذا ماست رأيت لها ارتجاجا له لولا سواعده نزوعا
ذراعاها عدوا دملجيها يظن ضجيعها الزند الضجيعا !

وقال النابغة :

محطوطة المتنين.. غير مفاضة ريا الروادف.. بضة المتجرد!

اما ذو الرمة فقد شبه كفلها بالعانك « الكثيب المرتفع من

الرمل » عليه اهاضيب « التلال الكبيرة » دونها الهذاليل « التلال الصغيرة » التي تفهق بالرمل الناعم كيفما وضعت قدمك ... لا غرابة في هذا التشبيه ، فالشاعر ابن الصحراء :

لها كفل كالماناك استن فوقه اهاضيب لبدن الهذابل نضح !

هذه البدانة الموصوفة التي كانت في القديم مستجملة هي اليوم مستقبحة . فالمرأة الجميلة هي المرأة الرشيقة الهيفاء المضمرة ذات الصحة المروضة « السبور » التي تمشي بخفة موزونة كأنها توقع قدميها على الارض توقيعاً ... ليس عبثاً تشبيههم للمرأة الجميلة بالظبية .

واليك هذه الصورة الاخرى للمرأة المتجملة اللابسة غوالي حلاها ، وهي صفة مشبهة لاحدى نساء عصرنا وقد اتخذ زينتها وزبرجها « التواليت » ، وبدا رأسها – اول مخصوص بالعناية – جلاء وفتنة للرائين :

وذو عذر فوق الذنوبين مسبل على البان يطوي بالمدارى* ويسرح
ترى قرطها في واضح الليت مشرفا على هلك في نفنف يتطوح

أرأيت هذا الوصف البديع كيف اضفى على القرط الجميل سناء على سناء ؟ كان هذا القرط – صانه الله ! – في واضح الليت « العنق » مشرفاً على هلك « فقد بهرته فتنة العنق » ، وهو في نفنف « الهواء » يتطوح « يترنح » من العشق ... !

لندع هذا القرط السعيد ، ولننتقل الى صورة صورها لنا المتنبي لجميلات لابسات وشيهن وقد خرجن من التنعيم ضافرات غدائرهن . انظر كم هو لبق في تبرير ما اتخذن:

لبسن الوشي ، لا متجملات ولكن كي يصن به الجمالا ..
وضفرن الغدائر ، لا لحسن ولكن خفن في الشعر الضلالا ! ..

واسمع ذا الرمة وهو يصف سرباً من الآنسات الفخمات الرخيمات الكلام الماسكات شعورهن بالامشاط ، المموهات جلودهن بذريرة شقراء كالذهب :

رخيمات الكلام مبطنات جواعل في البرى قصبا خدالا
جمعن فخامة وخلوص عتق وحسنا بعد ذلك واعتدالا
كأن جلودهن مموهات على ابشارها ذهبا زلالا !

والحجاب – قديماً – ما تقول فيه ؟ انه حتى في هذا العصر السافر ما يزال معمولا به في بعض البلدان . خذ الناحية الجمالية الموصوفة منه ودع ما بقي .. انما نحن معنيون بالجمال .

وحجبت النوى الظبيات عني فساعدت البراقع والحجالا !

البرقع كم تحته من جمال يشغل البال .. قال ابو الطيب :

كأن نقابها غيم رقيق يضيء بمنعه البدر الطلوعا !

***

اما بعد ، فالله الذي هدانا ان نشرب هذه الخمور الادبية المعتقة نسأله ان يهدي شبابنا الجديد الى دنانها الصفر واقبيتها المظلمة دون ان يستولي عليهم الذعر .. ويروا كيف تتقابل وتتشابه في عوالمها العصور بالعصور !

محمد يوسف مقلد

* أمشاط تمسك الشعر

رأيت فيما رأيت من عصرنا ، وشهدت
أن الحقيقة ليست الا هراء ونت ! !
وان عيش البرايا الى النفاق يمت ! !
وكل فرد بصير يخفى حناياه كبت
وكل روح طليق ألواه ضغط مفت
من كان ينطق جهراً عراه وهن وصمت
اذا علا منه صوت يرتد بالبأس صوت
رجوت خيراً مباحا فساءني ما رجوت
وشدت وهمي بيوتا فانهار بيت فبيت
ودرت انظر حولي كيف الامور تشت
وكيف يزجر حس وكيف يكرم ميت
وكيف هان مجد فما يوازيه سحت
وكيف تمضي الاحاظي منها حضيض وامت*

* الامت: المكان المرتفع

ليت

العصر والتاريخ

•

لعبد السلام رستم

القاهرة

تعطي الهبات جزافا شتان ، خصب ومرت*
اما الخصيب فموسوم الى الوضيع يبت
والمرت بلغة ساع اكداه للقوت نحت
عجائب وشجون لها ذهول وبهت
فان تضائلت يوما اخزاك منهن بغت
وما الحياة سوى ثوب ، لبسته ونضوت
نضوته عن ملال وعفته ونبذت
لما استبانت خداعًا زهدت فيها وخفت
فليتني ما خلقت او ليتني ما شعرت ؟
وكنت شيئا تريكا من الجماد نبت
اجابه الوحش امنا فلا نفار وضقت
ولا فجور طواه من الدمائة سمت
ولا أرى ما رأيت واشتكي ما لقيت
يا ليتني لو تجازي لدى التملل ليت ؟ !

* المرت : الارض الملساء المقفرة

مكتبة الاديب



الجديد في الادب العربي

لعيسى ابراهيم الناعوري ـ ١٦٠ صفحة ـ مطبعة الكشاف بيروت

ان الاستاذ الناعوري المعروف ببحوثه الادبية وبخدمته للمدارس والاساتذة والطلبة بما ينشره في الصحف مجلات وجرائد ويلقيه في الاذاعات استقرى كثيراً من حاجات الآداب في صفوف المدارس بحسب درجاتها فنشر منها للصفوف الاولى كتاباً بهذا العنوان اعلاه مطبوعاً . ثم اراد التوسع في بحوثه فطبعه ثانية واتحفني بنسخة منه طالعتها باستقراء مبدياً رأيي حسب طلبه فاشكره بلساني ولسان الادباء واقول :

ان مدارسنا في الايام الاخيرة تحتاج الى مثل هذه المؤلفات بحسب طبقاتها فيقف الطلاب على حقائق بعيدة عنهم قد قربتها لهم فارشدتهم الى كشف القناع عنها وتمثيلها بالرسوم والمؤلفات والمنتخبات في تراجم مختصرة وافية بالغرض تقود الى نشر ما بعدها بترتيب وايضاح حتى تنجلي الغوامض بمظاهرها المفيدة ، ومآثرها العديدة.

فظهر هذا الكتاب بطبعته الثانية مشحوناً بفوائد كثيرة مرتبة في تعريف الادب بفصوله الثلاثة من الادباء الناثرين والشعراء في مصر ولبنان وسورية . ثم في تطور الادب العربي الحديث ذكر الخطباء ايضاً مع الناثرين والشعراء برسوم وتراجم ومنتخبات وتعاريف تصور العلماء والادباء بما اظهروه من فنون العلوم بامثلة من تحبير اقلامهم وروائع خيالاتهم وبدائع تصوراتهم لتكون انموذجات لهم في دروسهم وتدريسهم ثم عقد فصلا خامساً للنهضة الادبية في المهاجر الاميركية ولمشاهير ادباء المهجر من ناثرين وشعراء برسوم ومنتخبات وسير . وعقد الفصل السادس للاستشراق والمستشرقين باختصار ... وختم الكتاب بالفصل السابع للنهضة الادبية على ضفتي الاردن. فوقع الكتاب في ١٦٠ صفحة بقطع مربع وفيه فهارس ومراجعات وفوائد جمة .

فجاء هذا التاليف درة من عقد الكتب المدرسية جزى الله مؤلفه التحرير خيراً واطال بقاءه ووفقه في نشر مثل هذه الطرف المفيدة فنشكره ونحث المدارس على ترويجه والحكومة على نشره والادباء على اقتنائه والاستفادة من دروسه التي فيها روح العصر العلمية وديباجة التجدد التهذيبية وفنون الثقافة بمن الله وكرمه .

عيسى اسكندر المعلوف

الدول الاسلامية بعد الحرب العالمية الاولى

لكارل بروكلمان ـ ترجمة الدكتور نبيه امين فارس ومنير البعلبكي
١٩٢ صفحة ـ دار العلم للملايين بيروت

هذا هو الجزء الخامس من تاريخ الشعوب الاسلامية ذلك السفر النفيس الذي وضعه شيخ المستشرقين الالمان الدكتور كارل بروكلمان ونشرته في الناس ، في خمسة اجزاء ، دار العلم للملايين الزاهرة . اما الاجزاء الاربعة الاولى فتبحث على التوالي في « العرب والامبراطورية العربية » ويشمل هذا الجزء تاريخ العرب في الجاهلية وصدر الاسلام ، و « الامبراطورية الاسلامية وانحلالها » ويشمل الخلافة العباسية ونشوء الدويلات واسبانية الاسلامية ، و « الاتراك العثمانيون وحضارتهم » ولعله اوسع مرجع في هذا الموضوع ، و«الاسلام في القرن التاسع عشر» وفيه تاريخ لمختلف الحركات السياسية والفكرية التي عرفتها الديار الاسلامية في ذلك القرن .

اما الجزء الخامس الذي صدر مؤخراً فيبحث في التطورات السياسية والاجتماعية والفكرية التي طرأت على الدول الاسلامية بعيد الحرب العالمية الاولى . فأنت تقرأ فيه فصولا مسهبة عن تركية ومصر وشبه جزيرة العرب وسورية وفلسطين وشرقي الاردن والعراق وفارس وافغانستان ، كما تجد في آخره جدولا كرونولوجياً بأهم احداث التاريخين العربي والاسلامي ابتداء من سنة ١٠٦م. يوم سقطت الدولة النبطية، حتى سنة ١٩٣٩ وهو جدول عظيم الفائدة لم تقع على مثله في غير هذا السفر النفيس .

وبصدور الجزء الخامس من « تاريخ الشعوب الاسلامية » تم للقارىء العربي لاول مرة موسوعة موثوقة تستغرق التاريخ الاسلامي كله منذ اقدم عهوده حتى العصر الحديث . وقد حرص الاستاذان المعربان على ان يلحقا بكل جزء من

جولة الأديب في شهر

مع الشاعر الهولندي

فيكتور فان فريسلاند

بقلم نعيم قطان

☆

تطل الغرفة التي استقبلني فيها فيكتور فان فريسلاند Victor van Vriesland على سفح ممتد يكاد ينسينا اننا في مدينة كبيرة مكتظة بالسكان لا تخلو من شوارع ضيقة كامستردام . وهذه الغرفة متعددة النوافذ الا ان ذلك ليس بالامر الغريب فالغرف في المدن الهولندية تشبه كثيراً استوديوات الفنانين، ذلك ان المطر يستمر في الهطول اياماً متتالية في مختلف فصول السنة . فالبلاد ذات جو معتم وقلما تلقي الشمس باشعتها على ربوعها .

يعد فيكتور فان فريسلاند في مقدمة ادباء هولندا المعاصرين. وان كانت شهرته كشاعر واسعة فان تأثيره في توجيه الحياة الادبية في بلاده يكاد لا ينافسه فيه منافس . فهو ذو مكانة وحيدة من نوعها كناقد وكمعلق ادبي ويكاد يسهم في تحرير مختلف المجلات والصحف الادبية في بلاده . انه بوسعه ان يصعد بشاعر شاب الى الآفاق او ينزل به الى الحضيض . ان حبه الصحيح للادب ونقده النزيه وعدم اهتمامه بالعلاقات الشخصية في احكامه الادبية كل ذلك اكسبه احترام وتقدير مختلف الاوساط الادبية .

طلبت منه خلال زيارتي الاخيرة له ان يحدثني عن الادب الهولندي المعاصر فقال : « ان الادباء الهولنديين يكتبون بلغة لا مكانة عالمية لها . ولهذا السبب فهم نادراً ما يجتازون حدود بلادهم وقلما يبلغون شهرة عالمية . »

فقلت معترضاً: «ان اللغة النرويجية ليست باهم من اللغة الهولندية ومع ذلك من يجهل ايبسن وبجورنسن وكنوت هامسون وغيرهم؟

فاجاب قائلا: « ان الشعر يكاد يكون اكثر الانواع الادبية رواجاً في بلادنا . وانت توافقني في اعتقادي ان ترجمة الشعر من لغة الى لغة اخرى ان لم يكن متعذراً فانه من الامور العسيرة حقاً. وحتى حين يكتب الهولنديون الروايات فان اهتمامهم بالتحليل والوصف يجعل ترجمة ما يكتبونه من الامور الشاقة لهذا السبب يشعر ادباء هولندا ببعض العزلة عن العالم » .

فقلت له : « ان هذه العزلة ذات جانب واحد حسب ما اعتقد . فان كان الفرنسيون والالمان والانكليز والاميركان لا يقرأون الهولندية فالهولنديون يقرأون هذه اللغات وهم في نفس الوقت يترجمون عنها عدداً مهماً من الكتب » .

فقال : « انك على حق . فالشعب الهولندي شعب سفر وترحال. الهولنديون بحارة وتجار مضطرون ان يعرفوا اللغات الاجنبية، ولهذا فانت ترى ان اغلب الهولنديين يتكلمون بلغتين او بثلاث لغات اجنبية » .

فسألته قائلا: الا تعتقد ان الثقافة الالمانية تحتل المكان الاول في هولندا لاسيما ان اللغة الهولندية اشبه ما تكون باللغة الالمانية.

فقال بلهجة تنم عن عدم رضاه بما ذهبت اليه : « لا ، اني لا اعتقد ان تأثير الثقافة الالمانية له اهمية كبيرة في بلادنا وان كانت لغتهم اقرب لغة الى الهولندية . بل ان تأثير الثقافة الالمانية الذي كان له بعض الامتداد قبل الحرب العالمية الاخيرة غدا في طريق الزوال بعدما احتلت جيوش هتلر بلادنا ، ان الادب الانكليزي والادب الاميركي قد احتلا المكان الاول في مكاتبنا الآن وان الادب الفرنسي يزداد تأثيره يوماً بعد يوم . اننا بحاجة الى الفكر الفرنسي اننا بحاجة الى الادب الفرنسي لانه ذو طابع يختلف عن طابع ادبنا ولذا فان تلقيح ادبنا بالفكر الفرنسي يؤدي دون ريب الى زيادة خصبه .

وحين طلبت من فان فريسلاند ان يحدثني عن نفسه لم يظهر استعداداً لذلك بل فضل التحدث عن بعض الادباء الفرنسيين الذين ترجم لهم بعض الكتب او قدم لترجمات بعض كتبهم .

وفيما بعد حين طفقت اقرأ بعض شعره ظهر لي تشاؤمه كطابع غالب ، ذلك التشاؤم الذي يقلل حدته الامل وحب الطبيعة. ان فان فريسلاند مقل ومع ذلك فان شعره لو كان مكتوباً في لغة غير الهولندية كالانكليزية او الفرنسية لكان له مكانة عالمية في الادب .

وفيما يلي بعض القصائد التي حاولت ترجمتها من الهولندية والتي قد تعطي رأياً عن شعره :

• في الربيع قلب جديد •

طول النهار ازهار واغان قروية
اسماء تكشف عنها الروح ولا تستطيع تسميتها
وفي الليل اغان قروية وازهار
تبعث ضحكاتها النور في الاحلام
والآن يشمل الهدوء الرغبة المؤلمة
وهي تتلاشى بصمت بعيدة منسية
في شارع القرية الرئيسي يعرف اصغر الاطفال
سر الحياة القديم . سر اكتشفه انا الآن
واليوم لا ابحث بتردد ولا اتساءل
عن المعنى والامل بعيداً عن القلق
بعيداً عن التحسس في ظلام التردد بعيداً عن الايام الغير المكتملة



الشاعر فيكتور فان فريسلاند

في هذا العالم ولدت جديداً . شاهدوا
كل شيء قد اتقد. هنا كانت ترقد كنوزي ودوماً لم اكن اراها

• خضوع •

اخضع واستسلم يا ايها القلب الذي لا يلقى هجوعاً
الساحل الاخير يكاد يلوح لك
وتكاد تنقشع عن هذا الزمان
اخضع وكن متهيئاً
لم تقبلك ابداً شفاه بهذا البرود
ارسلها اليك قلب وكأنها تهدئة لدموعك
اغنية قديمة لكل من يئن
اغنية وجدت منذ وجد الناس في يأسهم يغلون
ويشمل من يسمعها صمت عميق
اخضع وتنازل عن ارادتك وخبيء وجهك بسكون
اني موجد السلام : انا الموت

• من بقي على قيد الحياة •

الآن وقد قضت نحبها ووجهها عفن
توارت حيث لن يسمع صوتها احد
يخيل لي اني قتلتها بيدي
وامقت نفسي واكن لها كرهاً لا سبب له
كان ظمأها للحب والحياة لا يشفى
اضلها عدم تلبية دعوتها
ماتت ولا زلت على قيد الحياة ابسم لكل امرأة تمر امامي
اجرمت بقلة اخلاصي لم امنحها الهدوء
والآن يحوم طيفها وحيداً وغير مأثور له
في الحقول التي كنا نطوف بها معاً
غاب النوم عن عيني انى لي ابعادها عن فكري
تكسرت عيناها الناعستان وهي في عنفوان الشباب
والآن تحدق وكأن هناك من يسيء معاملتها

امستردام — نعيم قطان

مشاهدات مصطاف في لبنان

✡

طلبت الي ايها الصديق ان احدثك عن لبنان حديثاً مطولا . وما احبك في حاجة الى هذا الحديث ، انت الذي قضيت بين ربوعه جانباً من سني شبابك ، ايام كنت طالباً تتلقى العلم في كلية بيروت . فلست اذن تتطلع الى حديثي عن لبنان وقوفاً على معالمه بل شوقاً الى ربوعه واستثارة لذكرى ربيع شبابك . ومن حقك ان تتلهف اليوم الى ذكرى لبنان بعد ان انقطعت عن زيارته مكرهاً طوال اربعين سنة . فما احلى ذكرى ايام الشباب بين ربوع الجمال الخالد ، وهل لذة العمر الا شباب وجمال ، ان ولى الاول فجمال الثاني باق .

وفي الحق اني حائر لا ادري عما احدثك في لبنان . فالحديث عن لبنان مهما افضت فيه ، شائق محبوب لا يمله السمع ولا تشبع منه النفس . ان لبنان الذي عهدته بالامس غير لبنان اليوم ، لقد تقدم وازدهر تقدماً محسوساً منقطع الصلة بين

معالم الامس ومشاهد اليوم ، فالطرق ممهدة الى جميع القرى وبلدان الاصطياف ونزل الاقامة عصرية المبنى ومهيأة الاسباب لاستقبال المصطافين وابناء الجبل اكثر تقديراً لاهمية الاصطياف وتعويلا على موسمه . فلست تجد روح الاستغلال الشخصي للظروف المؤاتية بل حرصاً على سمعة القرية واستدامة لاثرها الطيب في نفوس المصطافين واجتهاداً في منافسة القرية لباقي قرى الاصطياف . ولا غرابة في ذلك لان اللبناني واسع الافق بعيد النظر . انه اليوم لا يطمع في جني فائدة عاجلة بل يتطلع الى مستقبل واسع بسام الآمال ، انه قوي الايمان بمستقبل بلاده لعلمه اليقين انها المصيف الجبلي الوحيد للشرق الادنى . وانك لتلمس هذا الفهم صادقاً قوياً كلما تحدثت الى لبناني من اهل الجبل ، وما تلبث ان تكتشف في محدثك ذكاء فطرياً يزينه بعد نظر وحكم سليم ليس من اعمال الفكر وتعميق الثقافة المكتسبة بل من خبرة الايام وتجارب الحياة .

لقد اطلت الحديث عن الشباب وذكرى ايام الشباب حتى كاد ذلك ينسيني ان احدثك عن لبنان نفسه ، موطن الجمال الخالد الذي ابدع الرحمن في وشيه . وانك تقف على اي منعرج من الطريق فيسحرك منظر جميل تخاله لاول وهلة ، الجمال الفريد الذي لم يخلق اجمل منه ولكنك عندما تنتقل عينك الى غيره يختلط عليك التقدير فلا تدري اي المناظر حولك ابدع وشياً واروع اثراً . على ان الجمال الذي يشاهده المصطاف على طريق « الكاروسة » ليس الا بعض الجمال الذي في لبنان . اما الجمال الذي يستولي على مشاعرك فلن تراه الا من خلال طرق لبنان الضيقة التي شقها الاجداد طريقاً لانتقالاتهم ولا تعرف السيارة اليها سبيلا . من خلال هذه الطرق الضيقة ترى الجمال الطلق الذي خلقه الرحمن هداية للضالين وتذكيراً بقدرته ، الجمال الذي لن تستمتع به الا بقدر ما تبذل من جهد في الوصول اليه سيراً على القدمين بين صعود وهبوط الى المرتفعات والوديان. كم تذوقت هذا الجمال في صحبة الاصدقاء من المطلعين على خفايا هذه الدروب وعرجت في سيري على قرى لبنانية بعيدة عن العمران ، يعيش اهلوها على خيرات الارض عيش كفاف وقناعة ويغمر قلوبهم سعادة ورضا ، قل ان يشعر بها سكان المدن . لقد نزلت في بيوت هؤلاء القرويين التماساً للراحة من عناء السير المضني فلقيت ترحاباً وضيافة وشاركت اصحابها طعامهم واكلت « التبولة » وشربت العرق فما وجدت اطيب منها مذاقاً . من خلال هذه الطرق التي لا تتسع الا لقدم الانسان رأيت جمال لبنان في ابدع مناظره وابهج مشاهده وشعرت بما لم اشعر به من قبل ، شعرت باني قريب من الله اكثر من ذي قبل واني متصل بذاته اتصالا روحياً صامتاً مجرداً من الالفاظ والتسابيح واحببته كما يحب الابن اباه الحنون حباً لا يعرف الخوف ولا الرهبة بل يقوم على التفاهم التام والمحبة الصادقة . لكم تمنيت ان اقضي ما كتب لي من العمر افلح تلك الارض المقدسة مع الفلاح اللبناني واعيش على غرار عيشته فأتذوق نعمة السعادة الحقيقية في العيش على القناعة والرضا . ما احب افتراش اديم الارض في المساء ووجهي الى السماء اتحدث الى الخالق في علياء ملكه فازداد اليه تقرباً وبالتصاقي بالارض حباً وتعلقاً .

وللبناني من اهل الجبل ، طابع خاص حتى في تحيته . اذا ما التقيت به في الطريق بادرك على غير معرفة بتحيته التقليدية « الله معك » . ما اجملها تحية تعبر عن ايمان اللبناني بالله العلي القدير ، ايماناً عميقاً يتجلى فيه التسامح والمحبة .

وهناك ناحية من اجمل نواحي لبنان لم احدثك عنها بعد ، اعني بها المرأة اللبنانية من ساكنات الجبال . انها حقاً امرأة فاضلة جديرة بالاعجاب والتقدير ، انها حركة دائمة من النشاط ، تنهض قبل طلوع الفجر لتدبر شئون المنزل حتى اذا ما فرغت منها توجهت الى الحقل فتعمل فيه حتى غياب الشمس . انها شبيهة بفلاحتنا المصرية في كثير من النواحي . والمرأة الجبلية يعتمد عليها رجلها في تصريف كثير من المسائل التي هي من متعلقات تدبيره لعلمه انها اجدر منه على معالجتها . ومما يجدر ذكره عنها انها لا تتطرى ولا تتزين ، وما حاجتها الى التجميل الصناعي والتماس المساحيق وقد حباها الله بقد ممشوق ووجه في مثل لون الورد تحسدها عليه نساء المدن .

وبعد ، فما اكثر نواحي الحديث عن لبنان وما احب كل ناحية منها . ان في التحدث عن لبنان غذاء للنفوس المتعطشة الى الجمال والحب ، فلبنان قطعة من الفن الذي نحتته يد الله مثالا مصغراً من الجنة التي وعد بها مختاريه . لقد تذوق اللبنانيون هذا الجمال وانطبعت صوره في قلوبهم فاخرجوها لنا روائع من الشعر والادب والموسيقى تبقى خالدة على الايام .

أختم كتابي اليك مضطراً لاني على موعد مع الجمال بلبنان لم تستمتع به عيناي من قبل . « والله معك » في كل حين .

القاهرة — **يوسف داود المحامى**

أنباء العالم في شهر

٢٥ يناير ١٩٥١ ـ عادت اللجنة السياسية لجامعة الامم الى المناقشة في المشروع العربي الاسيوي والمشروع الاميركي بشأن كوريا واعلن مندوب الهند بان الصين ابدت مزيداً من التساهل .

٢٦ ـ قدم الدكتور ناظم القدسي رئيس الوزارة السورية الى اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية مشروعا يقع في ٢٠ مادة يرمي الى قيام دولة عربية موحدة .

ـ دخلت قوات الامم المتحدة مدينة هونغ سونغ في كوريا دون ان تلاقي مقاومة .

٢٧ ـ خطب السيد يوشيدا رئيس وزراء اليابان فقال بانه يعترض على تسليح اليابان لان الدستور الياباني يمنع هذا التسليح .

٢٩ ـ توفي في لوزان المرشال مانرهايم رئيس جمهورية فنلندا وقائد جيشها سابقا .

٣٠ ـ اعلن البيت الابيض انه قد تم الاتفاق بين الرئيس ترومان والسيد بليفن رئيس الوزارة الفرنسية الذي يقوم بزيارة رسمية لاميركا، على قضيتي الوحدة الاوروبية والدفاع عن اوروبا الغربية .

ـ تقوم قوات الحلفاء بحرب ضارية مع القوات الشمالية الى الجنوب من سيول في كوريا وقد اخترقت الجهاز الدفاعي الشمالي .

اول فبراير ١٩٥١ ـ جرى التصويت النهائي على المقترح الاميركي باعتبار الصين دولة معتدية في الجمعية العمومية لهيئة الامم وقد فاز باكثرية ٤٤ صوتا ضد ٧ وامتنع ٨ عن التصويت

ـ تقدمت القوات الكورية الشمالية في الجبهة الوسطى وفي الجبهة الغربية اشتدت المقاومة الشمالية في وجه القوات الدولية المتقدمة.

٢ ـ صدق مجلس الجامعة العربية على قرار اللجنة السياسية حول موقف الدول العربية من الصراع القائم بين الشرق والغرب معلنا تمسك الجامعة بميثاق الامم المتحدة .

ـ اعلن السيد رياض الصلح رئيس الوزارة اللبنانية تحفظا صريحا على مشروع القدسي في سبيل توحيد العرب قائلا ان لبنان ارتضى لنفسه وضعا لن يرضى عنه بديلا .

٣ ـ خطب وزير خارجية الصين رداً على قرار هيئة الامم قائلا ان هذا القرار يقطع الطريق على كل تسوية سلمية لمشاكل الشرق الاقصى كلها .

٤ ـ افرجت السلطات الاميركية في المانيا عن ٣٣ من مجرمي الحرب الالمان بينهم الفريد كروب صاحب مصانع الصلب والاسلحة المشهورة والجنرال ويلهم شبيدل والجنرال لاز وغيرهما من القواد وثمانية من كبار مهندسي مصانع كروب .

٥ ـ كثرت زيارات الرجال الرسميين والعسكريين من اميركيين وانجليز وفرنسيين الى الشرق الاوسط وتم الآن في زيارة لسوريا ولبنان الجنرال روبرتسون قائد القوات البريطانية في الشرق الاوسط .

٦ ـ جرت محادثات بين الدول الغربية الثلاث الكبرى حول الجواب السوفياتي المتعلق بالمؤتمر الرباعي. والمذكرة تؤكد ان الدول الغربية تسابق في التسلح استعداداً للحرب، وتريد وضع مؤتمر وزراء الخارجية امام الامر الواقع .

٧ ـ تتابع القوات الدولية في كوريا تقدمها البطيء باتجاه الشمال . وقد تخطت ساوول شرقا وتوقف الهجوم في الجبهة الغربية .

٨ ـ اصدرت الحكومة السورية بلاغا حول زيارة الجنرال روبرتسون لدمشق قالت فيه ان المحادثات السورية التي دارت بينه وبين السلطات المدنية والعسكرية استعرضت فيها الحالة في الشرق الاوسط من جميع نواحيها دون ان تنتهي الى اي التزام .

ـ طلب المستشار اديناور في خطاب اذاعه الا تتخذ الدول الغربية قراراً بشأن المانيا في المؤتمر الرباعي المنوي عقده قبل اخذ رأي حكومة بون الاتحادية وقد حمل على فكرة عزل المانيا وحيادها وطالب بان تنضم الى جهاز الدفاع .

٩ ـ طلب الاتحاد السوفياتي الى المجلس الحليف للشرق الاقصى بحث مسألة تجريد اليابان من السلاح .

١٠ ـ عبرت القوات الدولية في كوريا نهر هان المتجمد واحتلت مطار كمبو وميناء انشون وتتابع تقدمها شمالا وتقوم بحركة التفاف حول ساوول من الشرق والغرب .

١٢ ـ قامت القوات الشمالية في المنطقة الوسطى من الجبهة الكورية بهجوم عنيف فارغمت القوات الدولية على التراجع ١٢ كيلومترا .

ـ جرت في البحر المتوسط اكبر مناورة بحرية اشترك فيها ستون دارعة بريطانية واميركية وجرت تمارين خاصة ضد الغواصات.

١٤ ـ واصلت القوات الشمالية في كوريا التي خرقت الجبهة الوسطى تقدمها الى عمق ٢٥ كيلومترا .

١٥ ـ اعلن الجنرال مارشال ناظر الدفاع الاميركي ان اميركا تنوي ارسال اربع فرق اضافية الى اوروبا .

ـ افتتح في باريس مؤتمر « انشاء الجيش الاوروبي » وتشترك في المؤتمر عشرة بلدان وكذلك وفدا الولايات المتحدة وكندا.

ـ رغم تعاظم الضغط الشمالي الكوري في الجبهة الوسطى فان القوات المتحدة تحافظ على مراكزها .

١٦ ـ اضطرت القيادة الدولية في كوريا الى سحب قواتها سحبا عاما في الجبهة الوسطى وتدور معارك على بعد ٣٢ كيلومترا جنوبي شرقي ساوول في القطاع الغربي .

١٧ ـ ادلى الماريشال ستالين بتصريحات خطيرة اتهم فيها الغربيين بانهم يعملون للحرب بينما يعمل الاتحاد السوفياتي للسلم ومما قاله بان تجنب الحرب العالمية الثالثة امر ممكن وان هيئة الامم المتحدة اصبحت اداة لا حصنا للسلم وبان الحرب الكورية ستنتهي بهزيمة المتدخلين اذا رفضوا عروض بكين.

١٧ ـ احدث تصريح الماريشال ستالين رد فعل لدى الدول الغربية وردت عليه الهيئات الرسمية مفندة ما جاء به .

١٩ ـ اعلن الجيش الثامن في كوريا فشل الهجوم الشمالي الكبير وقد انقطع الاشتباك بين القوات الدولية التي استأنفت الهجوم وبين القوات الشمالية .

٢٠ ـ تسلمت وزارة الخارجية السوفياتية جواب الدول الغربية على مذكرتها بشأن المؤتمر الرباعي ويعتقد بانه قدم اقتراح لعقد مؤتمر تمهيدي في باريس في الخامس من الشهر القادم .